السينما والصغار

رضا الطيار



السينما والصغار

رضا الطيار

رضا الطيار: السينما والصغار
الطبعة الأولى

الناشر: دار ثقافة الأطفال ص . ب ١٤١٧٦
بغداد ـ العراق

سلسلة دراسات
تصدر عن قسم البحوث والنشر في دار ثقافة الأطفال
المدير العام، رئيس مجلس الادارة: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

المقدمة

كان للصغار، بالطبع، نصيبهم في عالم السينما الذي لم يترك أمراً أو شأناً دون أن يدسّ أنفه فيه ويُدلي فيه بدلوه.

وكانت حصتهم السينمائية هذه، تماماً كما هو نصيب غيرهم من موضوعات السينما، ذات أبعاد وملامح مختلفة، فيها الايجابي والسلبي، الجدير بالاعجاب والموجب للانتقاد.

وتتفاوت تلك الأفلام، فكرياً وفنياً، باختلاف صانعيها في: مستوياتهم الفنية، ومدى اتقانهم لصنعتهم، والجهات التي تقف خلفهم، والأهداف التي تحركهم.

وكان لزاماً لهذا البحث أن يتحدّد ضمن خط معيّن ضماناً له من التشتت والاتساع.

وقد اخترتُ أن أقف عند الأفلام الروائية الطويلة، المصنوعة أساساً للعرض السينمائي في صالات العرض.

وعلى هذا لن يشمل البحث الأفلام التسجيلية والوثائقية والتعليمية وما يشبه هذه أو تلك.

كما لم يشمل البحث أيضاً تلك الافلام المصنوعة باسلوب الرسوم المتحركة والدمى وغيرهما من ألوان سينما التحريك، ما صُنع منها للصغار أو للكبار، للسينما أو للتلفزيون أو للعروض الت[illegible] . . . ذلك أن هذه تمثل نمطاً مستقلاً في أنواع ال[illegible] السينمائية، فضلاً عن أنّ المؤلف قد قدّم من قبل معالجة

خاصة لهذا الاتجاه (انظر كتاب: أفلام الرسوم المتحركة والدمى - تأليف روجر مانفيل - ترجمة: رضا الطيار - سلسلة الموسوعة الصغيرة - رقم ١٠٧ - بغداد ١٩٨٢. وهو يقع في قسمين، يتضمن أولهما دراسة تاريخية فنية لهذه الافلام (ص ١٠ - ٦٥). ويتناول ثانيهما سير أعلام فن التحريك وأبرز صانعيه - وعددهم ثمان وعشرون ترجمة).

ولن يشمل البحث كذلك الأفلام المصنوعة للعرض التلفزيوني، عن الصغار ومن أجلهم، سواء ما كان منها بأسلوب الفديو أو بأشرطة سينمائية من قياس ١٦ ملم أو غير ذلك. فهذا عالم فسيح واسع، متعدد الاهتمامات والألوان بتعدد الشركات والدول ومحطات التلفزيون وجهات الانتاج المختلفة.

وقد رأيت أن يكون البحث في ثلاثة فصول وملحق:

يقف الفصل الأول عند استخدام الصغار في السينما وظهورهم في الافلام، بمعزل عن استهداف تلك الأفلام مخاطبة الصغار أنفسهم أو غيرهم.

ويتناول الفصل الثاني أهمّ الموضوعات والأتجاهات التي عرضت لها أفلام الصغار.

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن صناعة سينما الصغار وأبرز صانعيها، وأشياء أخرى ترتبط بهذا الجانب.

وتطرقت في الملحق الى ما يتعلق بالصغار في السينما العربية، واقعاً ومستقبلاً.

ولسـوف أهتم بالافـلام التي يكـون للصغـار دور أسـاسي في موضـوعهـا وحبكتها وطريقة معالجتها وأهدافها ، وليس تلك التي يكون ظهورهم فيها مجرد ظهور عابر أو ثانوي .

وقـد حرصت على التـركيـز ، في الاستشهاد والأمثلة ، على ما عُرض من هذه الافـلام عنـدنـا قدر الأمكـان . الاّ فيمـا تقتضيه ضرورات البحث .

ولم استهـدف في أيـة فقـرة من فقـرات البحث ، الاستقصـاء وتقديم إحصاءات متكاملة ، فليس ذلك بالامكان وقد تجد صدى فقرة معينة في فقرة اخرى تالية ولقد وجدت نفسي مضطراً في أحيان كثيرة الى الايجاز والتكثيف الشديد مادمت ملتزماً بحجم محدد لهذا البحث .

والصغـار المقصـودون في هذا البحث ، بالطبـع هم مَن كانوا دون سن البلوغ ، علمـاً بأن موضـوع مشكلات سن المراهقة في السينمـا يتطلب بدوره دراسـة تفصيليـة وافية تقف على اسلوب الصناعة والمعالجة والاتجاهات والاهداف والنوايا .

ولـربمـا تحسب ، لأولَ وهلة ، أنَ مصـادر البحث ومـراجعـه ميسـورة جاهـزة ، ولكنـك ستجد أنكَ تفتقر الى أدنى مفاتيح هذا السبيـل . فلن يكـون هاديـك سوى مجمل مشاهداتك وقراءاتك ومتـابعـاتـك ، يتفـرق فيهـا ما تحتاج اليه ويتناثر خللها ما تطلبه . وسيجـد القـاريء اثنـاء البحث اشـارات متعـددة الى طائفـة من المصادر والمراجع المعتمدة فيه .

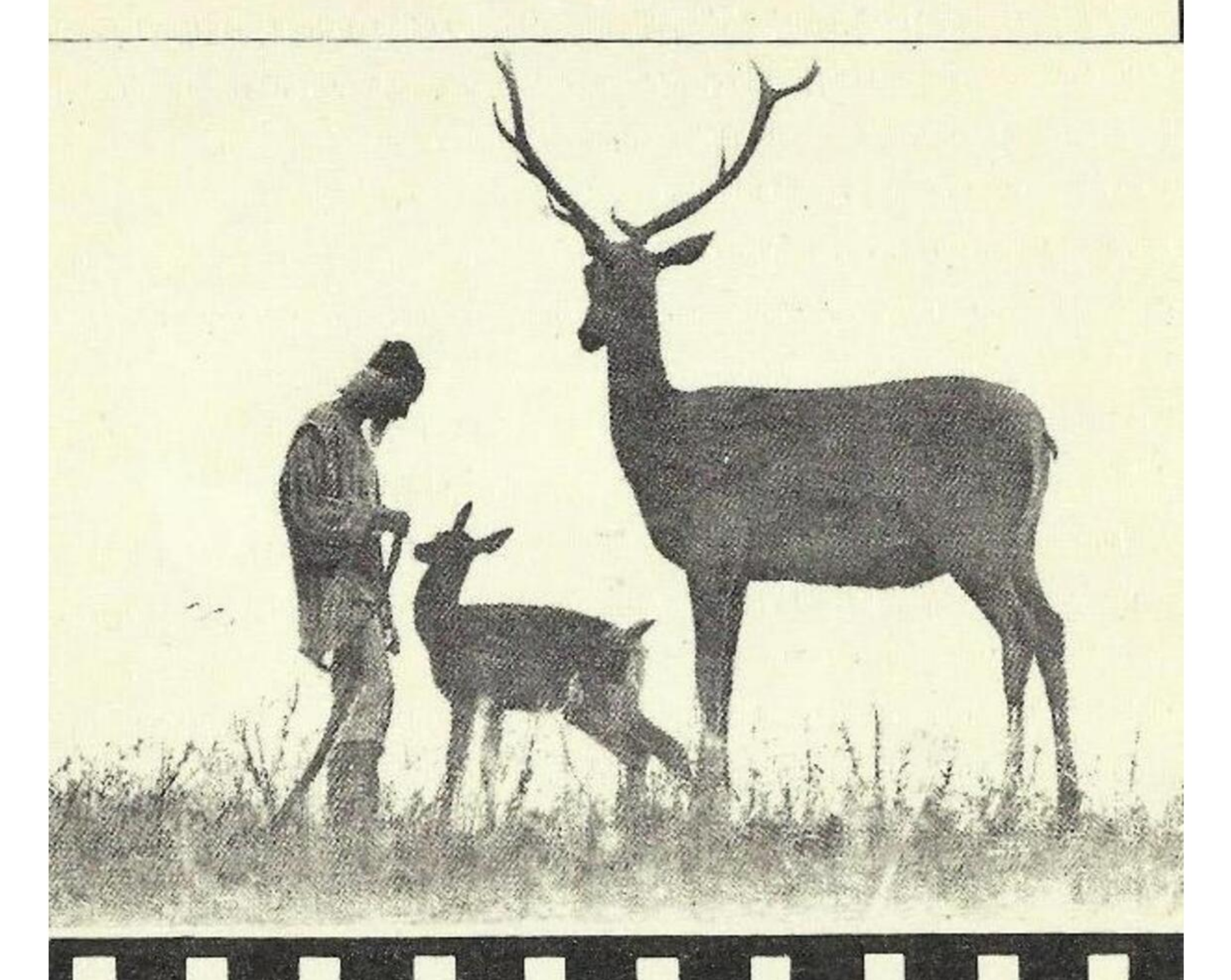
وهذا جهد متواضع أضعه بين أيدي القرّاء ، عسى أن أكون قد سددْت به ثغـرة في المكتبـة السينمـائية ، ووفيت المـوضوع جزءاً

من متطلباته . وأعتذر سلفاً عن أيّ سهوٍ أو خطأ أو هفوة . . والله من وراء القصد .

■ رضا الطيّار ■

٢٥ / ١٠ / ١٩٨٥

استخدام الصغار في السينما



نيكولاي بورلييف في

(طفولة بامبي - ١٩٨٥) اخراج: ناتاليا بوندا رتشوك

منذ ولادة السينما في أواخر عام ١٨٩٥ ، مرورا بنطقها عام ١٩٢٧ ، ثم في السنوات التالية ، لم نعدم أن نجد السينما تظهر صغاراً ، من أعمار مختلفة ، في أفلامها ، على اختلاف موضوعاتها . ولكنّ هذا الظهور المتفرق ، والقليل نسبياً ، ماكان يتجاوز الاستعانة بالصغار باعتبارهم عناصر طرافة ، أو عناصر لاستدرار التعاطف وللقلق على مصائرهم مع عوائلهم ، أو مجرد عناصر مكملة للأحداث والمشاهد على التقدير الأعم .

وبالرغم من وجود أفلام تخاطب الصغار بالذات منذ العشرينات ـ كما سنرى في الفصل الثالث ـ فلم يكن هناك توجّه عام واضح ، أكيد ومقصود للافادة من الممثلين الصغار أو لصنع افلام تعي هذا الجانب الاجتماعي في موضوعات الأفلام .

ويبقى الاستخدام الأبرز لممثّل صغير في هذه المرحلة المبكرة من عمر السينما مرتبطاً بالفنان العظيم شارلي شابلن (١٨٨٩ ـ ١٩٧٧) في فيلمه الشهير (الصبي ـ ١٩٢١) الذي ظهر فيه الصغير : جاكي كوجان . وكان الفيلم بطول ثمانين دقيقة ، ويُعد أول فيلم طويل يصنعه شابلن . وفيه يعثر المتشرد الأزلي شارلو على صغير تخلّت عنه أمه التي كانت ضحية رجل مخادع ، فيرعاه (في مجموعة مواقف صغيرة بالغة الطرافة) ومن ثم صار

الصغير يساعد شارلي، أباه بالتبني، في عمله في تركيب الزجاج وذلك بالقائه للأحجار على شبابيك الناس فيضطرون للاستعانة به في تركيب زجاج بديل. تلي ذلك مطاردات طريفة بين رجل البوليس الضخم وشارلي الضئيل الحجم يتدخل فيها الصغير لمساعدة شارلي. وتنتهي العلاقة بينهما بعودة الصبي الى والدته بعد أن صارت ثرية.

ومن الغريب أن نلاحظ أن شارلي شابلن العظيم لم يكن يستخدم الصغار في أفلامه الا على نحو قليل للغاية[1]. وقد مضت ست وعشرون سنة قبل أن يعود شابلن ثانية، في أفلامه الناطقة، ليقدم صغيراً آخر في موقف بالغ البراعة لايُمحى من الذهن بسهولة. كان ذلك في فيلمه الانتقادي اللاذع: (ملك في نيويورك - ١٩٥٧) وهو آخر أفلامه عملياً ما دام قد أكتفى بالتأليف والاخراج فقط - دون التمثيل - في فيلمه الأخير التالي (كونتيسة من هونغ كونغ - ١٩٦٦ - تمثيل: صوفيا لورين ومارلون براندو). وفي فيلم «ملك في نيويورك» يلتقي الملك المطرود من عرشه بصبيّ صغير يناقشه في المواقف السياسية والافكار الفلسفية بشكل حماسي يفوق عمره ومستواه الفكري المتوقع. ولسوف يتعرض هذا الصبي للمثول امام لجنة النشاط المعادي لأمريكا لاستحصال شهادة منه ضدّ والديه (وهي لجنة ماكارثي السيئة الصيت التي كان شابلن نفسه أحد ضحاياها ممّا اضطرّه الى مغادرة أمريكا الى بريطانيا).

وقد اسند شارلي هذا الدور البارع الى أبنه الصغير «ميشيل» وخلافاً لابناء شابلن الآخرين ـ ومنهم: جيرالدين وجوزفين وسيدني ـ لم يتجه ميشيل الصغير هذا الى التمثيل فيما بعد عندما صار كبيراً.

وبالرغم من اتساع الانتاج السينمائي وتنوّع موضوعاته فقد بقي الصغار بمنأى عن الاستئثار بجانب مهم وكبير من مادة الافلام وأبطالها.

. . . .

وأستطيع أن أزعم أن الاهتمام بالصغار بشكل واضح في السينما قد تأخر الى سنوات أواخر الاربعينات وبداية الخمسينات. ففي هذه المرحلة ازداد الاهتمام بالمعالجات الدرامية الرصينة في الافلام، وارتفع الاحساس بالقيمة الاجتماعية للفن السينمائي (موضوعات واهتمامات وجمهوراً) وتبع ذلك المزيد من الاهتمام بالافلام ذات الموضوعات الاجتماعية والعائلية وتحليل الشخصيات، كبيرها وصغيرها ثمّ انتشر التلفزيون، وغدا منافساً خطيراً للسينما، واتضح بالتالي الفصل ما بين ما يصلح للعائلة مجتمعة وما لا يصلح لها، وكذلك الفرق بين العمل الذي يهدف الى التسلية وذاك الذي يهدف الى الارشاد[٢] والتقويم وقد انسحب هذا التفريق وادراك أبعاده الى السينما وأفلامها سلباً وأيجاباً. ولن ننسى ازدياد الدراسات التحليلية الاستبيانية، في المجالات الاكاديمية وغيرها، في هذه السنوات عن الجمهور وفئاته. . . وهذا كله قد جعل الامور اكثر وضوحاً وقابلية للتمييز.

وأحسب أنّ أفضل وسيلة للتعرف على مجالات استخدام الصغار في السينما وأظهارهم فيها، بمعزل عن استهداف تلك الأفلام مخاطبة الصغار أنفسهم أو غيرهم، يمكن أن ينطلق من مجالين، أحدهما: أبرز موضوعات الأفلام التي يظهر فيها ممثلون صغار، وثانيهما: متابعة سِيَر النجوم الصغار وتطور نشاطهم السينمائي.

أبرز موضوعات الأفلام التي ظهر فيها الصغار

سنحاول أن نشير فيما يأتي الى أبرز الموضوعات والمواقف في تلك الافلام التي تُسند فيها الى الصغار أدوار رئيسة

١ - الصغار عامل تغيير.

قد يصير الصغار، بطبيعتهم الطفولية الخاصة ومرحهم وانطلاقهم، وسيلة لتغيير طباع الكبار ونظرتهم الى الحياة.

نجد ذلك مثلاً، بشكل واضح في فيلم (هايدي) من أخراج الامريكي: ديلبرت مان (مواليد ١٩٢٠) حيث تقتحم الفتاة الصغيرة «هايدي» حياة جدّها العجوز المتوحد الذي كره الناس واختار اعتزالهم وارتضى لنفسه العيش وحيداً على قمة جبل لسنوات طوال (ويؤدي دوره الممثل القدير: ميشيل ريدغريف). وتتمكن هايدي التي أرسلها والداها المنفصلان الى جدّها من أجل أن تجعله يخرج من عزلته ويتعاطف معها وينظر الى الحياة نظرة جديدة. أشترك في تمثيل الفيلم أيضاً: جين سيمونز ومكسمليان شيل.

ونجده أيضاً في نموذج الصغير الذي يدفع والده الملاكم السابق الى تجاوز فشله والعودة الى حلبات الملاكمة واستعادته لرغبته في مواجهة الحياة وتحدياتها ونبذ ادمان العزلة والخمر، ناقلاً اليه الكثير من حماسه الطفولي. كان ذلك في الفيلم البريطاني (البطل - ١٩٧٩) اخراج الايطالي: فرانكو زيفريللي (مواليد ١٩٢٣) وتمثيل: الممثل الصغير: ريكي شرودر، وجون فويت، وفاي دوناواي. ومن الجدير بالذكر أنّ هذا الفيلم اعادة صناعة لفيلم ثلاثيني (١٩٣٢) بالعنوان نفسه كان من تمثيل: والاس بيري والصغير: جاكي كوبر، ومن أخراج: كينغ فيدور.

وفي الفيلم البريطاني (لورد فونتلبوي الصغير - ١٩٨١) من آخراج: جاك غولد يتألق الممثل القدير: اليك جينيس في دور اللورد البريطاني العجوز. المثقل بالتقاليد الارستقراطية البريطانية، والذي يطالب بعودة حفيده الصغير اليه بعد أن توفي ابنه - والد الصغير - وكان الجد قد رفض زواج ابنه ذاك من أمرأة امريكية مغمورة. ولكن وجود الصغير (الممثل الصغير: ريكي شرودر) في قصر اللورد، ونظرته المتفتحة الى الحياة والمتأثرة بالافكار الامريكية المنفتحة ازاء انغلاق الارستقراطية الانكليزية في بدايات هذا القرن، يجعل الجد يغيّر من نهجه ونظرته الى الحياة، ويعيد النظر حتى في علاقته بخدمه ومرؤسيه والعاملين في أراضيه.

٢ - الصغار عنصر لاثارة الشفقة والتعاطف.

من الطبيعي أن يجد صانعو الافلام في وجود الصغار فرصة

طيبة لاثارة شفقة المشاهدين وتعاطفهم ولهفتهم في المواقف الحرجة والميلودرامية عموماً.

ففي فيلم (هروب في اليابان) من انتاج اوائل الستينات، وأخراج: ارثر لوبين، وتمثيل: ريشارد كونتي، يتابع الفيلم ما يحدث لطفل صغير، وهو آبن لأحد الديبلوماسيين، يضيع في اليابان، وتقوده الظروف والمصادفات الى أكثر من مكان، ويكون هناك شيء من المغامرات والتشويق في المراحل الأخيرة قبل عثور أهله عليه.

وقد التقطت السينما التجارية في أكثر من مكان مثل هذا الخيط الميلودرامي، ولن ننسى - مثلاً - ان الفيلم التركي «ولدي» - أواخر السبعينات - من تمثيل الطفل الصغير: سيزار (أربع سنوات) قد راح يبالغ كثيراً في أستدرار دموع المشاهدين ولهفتهم على مصير الطفل الضائع بشكل ميلودرامي زاعق.

وعندما انتشرت موجة ما يسمى «بأفلام الكوارث» والقائمة على وجود خطر شامل يتهدّد عددا كبيراً من الناس يعاني عدد منهم من مشكلات أو سمات خاصة، كان من المألوف أن نجد بين مجموعة الاشخاص المهددّين بالخطر صبياً صغيراً ما، وهو - في معظم الاحوال - جميل وظريف، من أجل زيادة الاهتمام به. نشير من ذلك - مثلاً - الى فيلم «الطوفان» المصنوع في أوائل السبعينات، من أخراج: ايرل بيلامي، وتمثيل: كاميرون ميتشيل. فبين سكان القرية الصغيرة المطلّة على السدّ الذي سينهار كان هناك صبي صغير سيهتم به الفيلم اهتماماً خاصاً، ويتابع مصيره

عندما تحاصره المياه فوق سطح بيت مغمور بالمياه بالقرب من أعمدة أسلاك كهرباء ذات ضغط عال مهددّة بالسقوط!

وعندما انتشرت موجة أفلام الأمراض المستعصية التي نتابع من خلالها الموت البطيء للمصابين بمرض السرطان في معظم الأحوال، حيث مواجهة الانسان للحظاته الأخيرة أو معاناة الآخرين بسبب ادراكهم لاقتراب الموت من أحد أحبائهم.. كان بين هذه الأفلام ما يتناول صغاراً ظرفاء يهدّدهم خطر الموت الأكيد وسط هلع ذويهم الذين لايستطيعون لهم شيئاً ومن نماذج ذلك: الفيلم الأيطالي (بائع البالونات ـ ١٩٧٥) اخراج: ماريو كاريازو، وتمثيل الصغير: ريناتو سيسي، الى جانب: جيمس وايتمور ولي. جي كوب وأدولفو سيلي.

٣ ـ الطفولة مرحلة تقود الى الرجولة وتسهم في تشكيلها.

فهناك أفلام تهتم بالوقوف وقفة خاصة عند مرحلة طفولة الشخصية الرئيسية في الفيلم على سبيل فهم أبعاد سلوكها بعد البلوغ.

فطفولة جين اير، مثلا، في رواية شارلوت برونتي (١٨١٦ـ ١٨٥٥) الشهيرة التي نشرتها عام ١٨٤٧ ذات أهمية كبيرة في فهم نفسية تلك المرأة المحرومة من الجمال والثراء والعطف وما عرفته في المدرسة الداخلية للايتام ذات التقاليد الصارمة، من قسوة وشظف وعقاب جسدي بهدف تطهير الروح وموت صديقتها هناك بالسل، كل ذلك ترك أثره في تشكيل وعيها ومشاعرها.

وغير خاف أن تلك المدرسة الموصوفة في الرواية شبيهة بتلك التي تعلمت فيها شارلوت وشقيقاتها. وكان أن اهتمت الافلام التي نقلت هذه الرواية الى الشاشة بهذه المرحلة من حياة جين اير. ومن أحدث ما رأيناه هنا منها فيلم (جين اير - ١٩٧٠) من اخراج: ديلبرت مان، وتمثيل: سوزانا يورك وجورج سي سكوت وجاك هاوكنز.

وهناك نموذج سينمائي مهم من هذا اللون، هو الفيلم الفرنسي البلجيكي المشترك: (فصلان من الحياة) من انتاج أوائل السبعينات، ومن تأليف وأخراج وتمثيل: سامي بافل. وهو عن رجل يعيش طفولة صارمة في مدرسة داخلية دينية متزمتة. ثم يختار أن يصير موسيقياً وتلاحقه أزمات مختلفة. وقد صُنع الفيلم وفق بناء تعبيري، يعتمد تشكيلات بصرية ولونية مرسومة بمنتهى الدقة. ومن أجمل ما فيه مشهد النهاية عندما يحتضن الرجل البالغ (الممثل سامي بافل نفسه) الممثل الصغير الذي يؤدي دوره هو في طفولته، ويسيران معاً نحو الأفق اشارة الى انطوائه على نفسه وذكريات طفولته انطلاقاً نحو المستقبل.

٤ - الصغار عنصر طرافة ومتعة.

وهو أمر شائع ومنتشر في الافلام للغاية. ومن ذلك الفيلم الاجتماعي الخفيف (طفل مقابل قطعتي فارذنغ - ١٩٥٥) من اخراج البريطاني الشهير: كارول ريد. وهو عن والدة صبي يحاول دوماً الابتعاد عن البيت من تمثيل: ديانا دورس وسيدني جيمس والصغير: جوناثان أشمور. وهناك طرافة الى جانب فعل

التغيير للاجتماعي، كما في فيلم (لقاء في نابولي ـ ١٩٥٩) من آخراج الامريكي: مافيل شافلسون، وتمثيل: كلارك غيبل وصوفيا لورين وفيتوريو دي سيكا وفيه يأتي الأخ الامريكي الثري الى نابولي بعد وفاة أخيه الذي عاش وتزوج هناك كي يأخذ ابنه الصغير. وهناك نلاحظ اصطدام طباع البرجوازية الامريكية بالحياة الفقيرة، والتلقائية المليئة بالحيوية في الوقت نفسه. لدى الايطاليين حيث يعيش الصغير مع خالته، وبما يقود الى مجموعة مفارقات طريفة تسهم في تشكيل القرارات الجديدة للعم.

وقد تكون هذه الطرافة في سياق نقدي لاذّع، كما في فيلم الكوميدي الفرنسي المعروف: بيير ريشار، في فيلمه (اللعبة ـ أو الدمية ـ في منتصف السبعينات) من تأليف واخراج: فرانسيس فيبر. وفيه يعمل بيير ريشار موظفاً صغيراً في احدى الشركات، ويشاء الصغير ـ ابن رب العمل ـ أن يختاره لعبة أو دمية له، ويكون على ذلك الموظف الصغير أن يلبي رغبات أرباب العمل مهما كانت قاسية أو طفولية أو لاذعة.

٥ ـ أفلام ابطالها من الصغار

ونماذجها عديدة، دون ان تكون بالضرورة صالحة للعرض على الصغار.

ففي فيلم (اللؤلؤة السوداء ـ ١٩٧٦) الذي تدور أحداثه في أمريكا اللاتينية وتحمل عبق السمات والتقاليد الخاصة لمنطقة الأحداث، يتشكل وعي الفتى الصغير من خلال الامل في العثور

على اللؤلؤة السوداء بالرغم من الاسطورة المرتبطة بالوحش البحري الذي يحرسها، مع امتدادات خاصة في حياة صيادي الاسماك في تلك المنطقة وتراثهم الشعبي والفيلم من تمثيل الصغير: ماريو كوستوديو، مع الممثل غلبرت رولان في دور صياد السمك الخبير. وهو مأخوذ عن رواية من تأليف: سكوت أوديل، ومن أخراج: سول سويمر.

ولن ننسى رائعة المخرج الامريكي ستانلي دونين (مواليد عام ١٩٢٤) الموسومة (الأمير الصغير - ١٩٧٥) وهو مأخوذ عن القصة الشهيرة التي نشرها الفرنسي سانت اكزوبري (١٩٠٠ - ١٩٤٤) في عام ١٩٤٣. وفيها يهبط الامير الصغير من كوكبه الصغير ذي الوردة الحمراء والذي كان يعيش فيه وحيداً، الى الارض حيث يمرّ بعدة تجارب ذات دلالة، في فيلم مصنوع بكثير من الامتاع. وقد اشترك في تمثيله: الصغير ستيفن وارنر في دور: الأمير الصغير، والمخرج ومصمم الرقصات الشهير: بوب فوس في دور: الأفعى، والممثل المعروف جين وايلدر في دور: الثعلب.

وهناك الفيلم الشهير (اي. تي. - ١٩٨٢) الذي صنعه المخرج الامريكي الشاب ذو الأفكار المدهشة: ستيفن سبيلبرغ (مواليد ١٩٤٧). وفيه يأتي كائن ضئيل غريب الى الارض من الفضاء الخارجي. وبالرغم من أنه ودود ومسالم ألاّ أن سكان الارض يقابلونه بالشك والريبة ويطاردونه. ولايجد من يفهمه ويعاونه ويساعده سوى ثلاثة من الصغار. وقد صارت تلك الدمية الضئيلة القبيحة العاجزة عن التواصل بالنطق (وهي من تصميم

الايطالي : رامبالدي) شخصية بالغة الجاذبية والشهرة في مختلف انحاء العالم. وكان سبيلبرغ نفسه قد طرح من قبل فكرة الحاجة الى التواصل والفهم هذه في فيلمه البارع (لقاء قريب من النوع الثالث - ١٩٧٧) عندما تصل سفينة فضاء غريبة من الفضاء الخارجي، وفيها كائنات عاقلة لا يرينا الفلم إيّاها ولا تقوم اية صلة تفاهم بين الطرفين، ولكن الاطفال الصغار وحدهم كانوا يرونهم ويستقبلونهم بحبور. والفيلم من تمثيل : ريشارد درايفوس. وقد أدى فيه المخرج الفرنسي المعروف فرانسوا تروفو دور مخرج سينمائي يعمل لدى اليونسكو.

ونجد في السينما السوفيتية اكثر من فيلم عن صغار ينبغي تأهيلهم بعد الحرب الأهلية أو الحرب العالمية الثانية، ويمرون بمجموعة تجارب قاسية تعكس مواقف متعددة من الحياة ومنهج النظام. ومن ذلك فيلم (طريق الحياة - ١٩٣٣) اخراج : نيقولا ايك والفلم (الايتام - ١٩٧٧) أخراج : نيقولاي غوبنكو، وأحدث الأفلام التي أخرجها الشاعر السوفيتي المعروف : يفتوشنكو (في عام ١٩٨٣) عن أطفال في أيام الحرب يبحرون الى سيبيريا فتعتني بهم امهات بعيدات عن أولادهن.

■ الصغار في أفلام الرعب ■

ازاء ازدياد منافسة التلفزيون، بقنواته المتعددة، للسينما، راحت السينما تبحث عن موضوعات واشكال تجتذب الجمهور ولا يستطيع التلفزيون مجاراتها فيه، من مثل الافلام ذات الانتاج الباذخ الضخم، والموضوعات الخاصة الجريئة، وأفلام الخيال العلمي والشاشة من قياس ٧٠ ملم مع صوت مجسّم، وغير ذلك.

ومن بين الموضوعات التي قفزت الى السينما خلال هذا البحث المحموم عن الجديد والغريب برزت فكرة أفلام الرعب القائمة على استغلال التناقض بين براءة الطفولة وبشاعة الشر، عندما تتلبس الارواح الشريرة أجساد أطفال يتسمون بالبراءة والطهارة والجمال. وهذا الاسلوب مرفوض تربوياً، وقاسٍ اجتماعياً، ولكنه انتشر في السينما سريعاً انتشار النار في الهشيم، وصارت له نماذج عديدة. ومعظم هذه الأفلام غير معروض عندنا لاسباب معروفة.

يتناول فيلم (طفل روزماري - ١٩٦٨) للمخرج البولوني المهاجر: رومان بولانسكي (مواليد عام ١٩٣٣) موضوع طقوس ولادة الشيطان، حاملاً الشرّ والعفن الى هذا العالم، وتكون ولادة ابن الشيطان هذا بسبب ضعف البشر أنفسهم وأطماعهم. فالعجوزان المشتغلان بالسحر يستغلان أمل زوجين فقيرين في الانجاب، وتواضع حال الزوج الذي يعمل ممثلاً مغموراً،

فيتفقان معه على أن يترك موضعه للشيطان دون علم الزوجة المخدّرة مقابل أن يحصل على فرص العمل والثراء. وتتتابع خلال ذلك وبعده مجموعة من المواقف الغريبة الغامضة المصنوعة ببراعة، بما في ذلك الطقوس الخاصة بولادة الشيطان الذي سيرد للملعونين اعتبارهم. وتحتقر الزوجة المخدوعة زوجها الذي جرفه الطمع، ولكنها لا تمتلك الاّ أن تهتم بوليدها. ومن الواضح أنّ الفيلم يحمل دلالات رمزية أعمق من شكله الظاهري المنتسب الى أفلام الرعب. وهو مأخوذ عن رواية من تأليف: ايرا ليفين. ومن تمثيل: ميا فارو - في دور الزوجة، وجون كاسافيتس في دور الزوج.

وفي فيلم (طارد الارواح: اكسورسيست - ١٩٧٢) من اخراج: ويليم فريدكين، وسيناريو: ويليم بنتر بلاتي عن رواية من تأليفه، نرى روح الشيطان تتلبس طفلة صغيرة بريئة تدعى: ريجين (الممثلة: ليندا بلير) فيتفجّر منها الشر، وتغدو بشعة، ويغلظ صوتها، وتقذف سائلاً أخضر من فمها، ويدور رأسها دورة كاملة احياناً. ويتطلب الأمر تضحية كبيرة من راهب متنسك كي ينقذ الصغيرة من ذلك الشيطان الساكن فيها. اشترك في تمثيل الفيلم: ماكس فون سيدو، و لي. جي. كوب، وألين بير شتاين. وكانت مؤسسة السينما في العراق قد أخطأت - في حينها - بالسماح لفريق العمل بالتصوير في أطلال مدينة الحضر قرب الموصل قبل التدقيق في مضمون الفيلم، وصارت تتجاهل - فيما بعد - حدوث ذلك هنا. وهكذا حمل الفيلم في دقائقه الاولى

العثور في اطلال الحضر على الايقونة وعلى التمثال البشع للشيطان.

وقد دفع النجاح التجاري لهذا الفيلم الى صناعة قسم ثانٍ يتلوه في سنة ١٩٧٧، بعنوان فرعي هو «الهرطقة»، وموضوعه هو محاولة دراسة الاتصال بتبادل الخواطر اعتماداً على تلك الفتاة الصغيرة نفسها بعد عدة سنوات (الممثلة: ليندا بلير ايضاً) وقد تولّى اخراجه هذه المرة المخرج: جون بورمان المتخصص في أفلام المغامرات والرعب. وظهر فيه: ريشارد بيرتون ولويس فليشر وماكس فون سيدو. وكتب قصته للسينما: ويليم غودهارت. ولكنّ هذا الجزء الثاني لم يستطع تحقيق النجاح التجاري الذي حققه الأول.

وفي عام ١٩٧٦ ظهر فيلم (التعويذة: أومين) من اخراج: ريشارد دونر، عن قصة من تأليف: ديفيد سلتزر. وفكرته هي وجود ابن للشيطان يتم استبداله بمولود حديث، وسيكون هذا الابن مرصوداً لفرض سيطرة الشيطان على العالم في شخصه عندما يكبر. وكلّ من يمكن أن يكشفه يكون مصيره الموت بشكل بشع، بما في ذلك والداه البديلان. ولا سبيل في المستقبل، الى التخلص منه الاّ بطعنه بخنجر من نوع خاص. وينتهي الفيلم الحافل بمواقف الرعب والترقب نهاية مفتوحة ببقاء هذا الصبي على قيد الحياة بعد مقتل والديه البديلين. وكان الفيلم من تمثيل الصغير: هارفي ستيفنز، الى جانب: غريغوري بيك، ولي ريميك.

وقاد نجاح الفيلم تجارياً الى صنع جزء ثانٍ يكمله، ثم ثالث. صُنع القسم الثاني في عام ١٩٧٨، وكان يحمل اسم (دامين - وهو اسم الفتى) وأخرجه هذه المرّة: دون تايلر، عن قصة سينمائية كتبها هارفي بيرنهارد تطوّر فكرة ديفيد سلترز تلك، وبالطريقة نفسها. وفيه نجد الفتى في سنّ الدراسة الاعدادية، وقد اختار مدرسة عسكرية تمهّد له في المستقبل تأديةَ دوره. يؤدي جوناثان سكوت تايلر دور دامين، ويشترك في الفيلم: ويليم هولدن ولي غرانت وروبرت فوكسوورث. وجاء الجزء الثالث، بعنوان «النزال الاخير» في أوائل الثمانينات، من آخراج: غراهام بيكر، وتأليف: اندرو بيركن، وتمثيل: سام نيل (في دور: دامين) وروزانو برازي. وفيه نرى دامين عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي، صاحب تنظيم واتباع يعبدون الشيطان بشكل صريح. وينتهي الفيلم بمقتله. وهذا الجزء اكثر الافلام الثلاثة ضعفاً وسذاجة وتهافتاً. ومن الجدير بالذكر أن هذه الافلام الثلاثة قد لقيت معونة سينمائية صهيونية على شكل مشاركة في التمويل وتقديم اماكن التصوير ومتطلبات العمل.

ومن الملاحظ انّ هذا اللون من الموضوعات قد لقي تجاوباً لدى الباحثين عن الغرابة والمولعين بأفلام الرعب والعنف. وقد قاد نجاح بعضها الى صنع سلاسل سينمائية على طريقة السينما التجارية في السنوات الاخيرة في محاولة استغلال ايّ نجاح تجاريّ سريع الى أقصاه. ومن الطبيعى أن نجد الشركات

التجارية الصغيرة تحاول تقليد هذه الموجة بأفلام ساذجة ضعيفة المستوى لا تتوفر على ما في تلك من اتقان الصنعة. وقد وصل بعض نماذج التقليد هذه الى دور العرض عندنا، ومنها الفيلم الايطالي (ليل الطفل - أو طفلة الليل) المصنوع في النصف الثاني من السبعينات، من تأليف واخراج: ماكس دالامنو، عن طفلة صغيرة تنتقل اليها روح الشيطان ايضاً. وهو من تمثيل الصغيرة: نيكول ألمي، ومعها: ريشارد جانسون، والعجوز: ليلي كيدروفا.

النجوم الصغار

اعتادت السينما، بين وقت وآخر، أن تقدّم ممثلاً صغيراً بارعاً يلفت الانظار ببراعته في الاداء وقوة حضوره. وما أن يعثر صانعو الأفلام على موهبة من هذا القبيل حتى تتسارع عملية الافادة منه واستغلاله وتحويله الى نجم. وكثيراً ما كانوايصنعون أفلاماً خاصة على قياسه. هذا الى جانب العديد من المواهب الصغيرة التي تبزغ هنا أو هناك، بفضل ادارة ذكية بارعة لمخرج حاذق، وليس لزاماً ان تستمر في السينما.

ومن الملاحظ ان كثيراً من النجوم الصغار لايحتفظون بموهبتهم بعد ان يتجاوزوا مرحلة الطفولة وبمعزل عن اخذ الظروف لبعضهم بعيداً عن عالم السينما، فان عدداً كبيراً منهم لايثبتون مواهب في التمثيل بمثل ما كانوا عليه في طفولتهم، فتنحسر عنهم الاضواء. وهناك منهم مَن يستمر ويغدو ممثلاً مرموقاً.

وسوف استعرض فيما يأتي سيرة طائفة من هؤلاء النجوم الصغار، من أجل التعرف عليهم أوّلاً، وملاحظة هذه الظاهرة ثانياً، وبهدف التعرف - ثالثاً - على أمثلة من الأفلام التي صُنعت لهذا النمط من النجوم، والتي كانت تختلف في طبيعتها وتوجّهاتها باختلاف المرحلة التي برزوا فيها. وليست جميعها بصالحة للعرض على الصغار.

ولنبدأ بِجاكي كوجان.

بهر الصغير جاكي كوجان المشاهدين في مختلف انحاء العالم عندما ظهر في دوره الأخاذ في فيلْم شابلن (الصبي - ١٩٢١) ولا شك أنّ لعبقرية شابلن في رسم الدور أثرها في بقائه خالداً. وكان عمر جاكي كوجان آنذاك ست سنوات. وبقيت ذكراه وصوره شائعة منتشرة في المصادر السينمائية والملصقات الجدارية وغيرها. ونادراً ما تساءل أحد عمّا حلّ به بعد ذلك.

لقد توفي جاكي كوجان في عام (١٩٨٤) وقد بلغ حوالي السبعين من العمر. وهو من مواليد لوس انجلوس عام ١٩١٤. ظهر في عددٍ من الافلام منذ كان بعمر سنة ونصف. واستعان به شارلي شابلن نفسه في فيلمين قصيرين من أفلامه عام ١٩١٩ قبل أن يشركه في فيلمه (الصبي - ١٩٢١). ذاع صيته في الاعوام القليلة التالية، وظهر في أفلام مثل: (أوليفر تويست - ١٩٢٢) و (دادي - ١٩٢٣) و (روبنسون كروزو الصغير - ١٩٢٤). وهي أفلام صامتة بالطبع. انتهى تألقه مع بلوغه سن الرشد. وحقق شيئاً من الشهرة عام ١٩٦٤ في المسلسل التلفزيوني «عائلة ادامز» ثم توقف بعده عن التمثيل وانصرف الى الانتاج.

لقد عاش جاكي كوجان طويلاً، وبقي قريباً من صناعة السينما، ولكن مجده الحقيقي وصورته في الاذهان بقيت مرتبطة بفيلم شابلن ذاك، ولم يحصل بعد ذلك على أيّ مجد ولبث ممثلاً مغموراً لا ينتبه اليه أحد.

وكانت (شيرلي تمبل) فتاة صغيرة موهوبة، بهرت العالم، وشُغفت بها هوليوود. ولكنها عندما كبرت وتجاوزت مرحلة الطفولة قررت أن تبتعد عن عالم التمثيل تماماً واختارت لنفسها مساراً آخر مختلفاً.

وُلدت شيرلي تمبل عام ١٩٢٨ في سانتا مونيكا بأمريكا. صارت النجمة الصغيرة الاكثر شهرة وذيوعاً في الثلاثينات. وكان شعرها الذهبي المجعّد ولثغتها المحبّبة صورة ساحرة تجتذب المشاهدين. ظهرت في السينما منذ عمر ثلاث سنوات، ودعمها والداها في ذلك، وذاعت شهرتها ابتداءاً من فيلم (قف واهتف - ١٩٣٤). ساهم نجاحها في توطيد دعائم شركة فوكس للقرن العشرين. وبقيت محافظة على تألقها في مراهقتها وشبابها. ثم ابتعدت عن الشاشة في سن الثانية والعشرين بعد فيلم (عروس من كنتوكي - ١٩٥٠).

من أبرز أفلامها وأشهرها (الانسة ماركر الصغيرة - ١٩٣٤) و (ريبيل الصغيرة - ١٩٣٥) و (آنسة برودواي الصغيرة - ١٩٣٨) - وهو فيلم استعراضي غنائي راقص من أخراج: ايرفنغ كومنغر شاركها في تمثيله: جورج مورفي - وفيلم (الطائر الازرق - ١٩٤٠) - وأظنه مأخوذاً عن مسرحية ميترلينك الشهيرة - وفيلم (قلعة أباشي - ١٩٤٨)، و (قبلة من أجل كورليس - ١٩٤٩) وفي الستينات صارت ذات نشاط سياسي فاعل في ولاية كاليفورنيا، كما عملت في السلك الديبلوماسي لفترة من حياتها.

وكانت (هايلي ميلز) ممثلة ذات حضور واضح على الشاشة. ويتميز اداؤها بكثرة استخدامها لملامح وجهها جميعا. ولدت عام ١٩٤٦ في لندن، وهي ابنة الممثل البريطاني القدير: جون مايلز (مواليد عام ١٩٠٨). وكان ظهورها الأوّل على الشاشة في سن الثالثة عشرة في فيلم (صوت نمر - ١٩٥٩).

اشتركت في العديد من الأفلام ذات الطابع التربوي. وتعاقد معها والت ديزني لتمثيل كثير من أفلامه الروائية التي كان يصنعها في بريطانيا. ومنها (بوليانا - ١٩٦٠) الذي تعيد فيه الصغيرة الوفاق بين والديها المفترقين، وفيلم (فخ الوالدين - ١٩٦١) الذي تؤدي فيه دوراً مزدوجاً لشقيقتين توأم ساهما بألاعيبهما في أنهاء طلاق والديهما، وفيلم المغامرات الشيّقة في منطاد: (الرحلة العجيبة) بالاشتراك مع: موريس شيفاليه.

كما ظهرت في أفلام بريطانية أخرى مع غير والت ديزني. وكان بينها، فيما بعد، أفلام عاطفية رزينة وأفلام غموض ايضاً. ومن بين أبرز أفلامها فيلم (الحديقة الطباشيرية - ١٩٦٣) الذي ظهر فيه والدها جون ميلز في دور خادم العائلة والممثلة ديبورا كير في دور المربية التي أفلحت في أكتشاف دوافع نزعة التحدي والعداء والرغبة في أشعال النار الكامنة داخل أعماق الصغيرة المتمردة التي تؤدي دورها هايلي ميلز، وهو فيلم اجتماعي قائم على التحليل النفسي، من اخراج: رونالد نيم.

وقد شاع اداء هايلي ميلز لدور الفتاة التي تهوى التصرف مثل

الصبيـان. وبعـد الاشتـراك في العـديـد من الافـلام ما لبثت أن ابتعـدت عن عالـم السينمـا بعد بلوغها العشرين ولم تعد تظهر في أفلام جديدة.

أما (مارك ليستر) فهو ممثل صغير وسيم بارع جذّاب. وُلد في بريطانيا عام ١٩٥٨. وبدأت شهرته في العاشرة عند تمثيله الدور الـرئيسي في فيلم (أوليفر-١٩٦٨) وهـو فيلم غنـائي استعـراضي مقتبس بشكل حر من رواية تشارلز ديكنز الشهيرة «أوليفر تويست» أعدّ له السيناريو: فيرنون هاريس عن مسرحية موسيقية وضعها: ليونيل بارت. وهو من اخراج المخرج البريطاني القدير: كارول ريـد (مـواليـد لنـدن ١٩٠٦). وقـد حصـل هذا الفيلم على ست جوائـز أوسكـار ذلـك العـام، بينهـا أوسكـار أفضـل فيلم وأفضل مخرج. اشترك في تمثيل الفيلم: أوليفر ريد ورون مودي وهاري سيكومب.

وكـان مارك ليستـر قد عمـل قبـل هذا الفيلم مع المخرج جاك كلايتـون في فيلم «بيت والـدتنـا». وبعـد نجـاح فيلم (أوليفـر-١٩٦٨) انهـالت عليـه الادوار المصنوعة من أجله خصيصاً. وأودّ أن أقف من بينها على مجموعة أفلام سبق عرضها هنا.

فيلم (الجمـال الاسـود-١٩٧٠) من أخـراج البـريطـاني: جيمس هيـل يتحـدث عن حصـان أسود جميل من خيول السباق يمرّ بمجموعة مواقف مع عدد من المالكين، أحدهم صبي صغير يتعلق بذلـك الحصـان يؤدي دوره: مارك ليستـر. والفيلم مأخوذ

عن رواية ذائعة من تأليف الامريكية: آن سينويل أقتبستها الشاشة اكثر من مرة، كما اعتمد عليها مسلسل تلفزيوني شهير.

والفيلم البـريطـاني (ميلودي - ١٩٧٠) من أخـراج: واريس حسين - وهـو بريطـاني من أصـل هنـدي - فيلم أجتماعي عاطفي رقيق، يتميـز بعـلاقـة الحب الودود بين صغير وفتاة ضمن ظرف عائلي قلق.

أمّـا فيلم (سكـالاواج - ١٩٧٣) فهو من تمثيل وأخراج الممثل المعـروف: كيـرك دوغـلاس (تعبيـراً عن رغبة في نفسه في ادارة فيلم مغامرات من أفلام عالم القراصنة، وان كان الفضل في اتقان صنـاعتـه يعود الى مدير التصوير القدير: جاك كارديف). والفيلم مأخـوذ عن احـدى قصص الكـاتب المعـروف: روبـرت لويس ستيفنسـون (مؤلف روايـة: جزيرة الكنز). وكان دور مارك ليستر في الفيلم ثانـويـاً، فهـو مجـرد شقيق للفتـاة الجميلة (ليسلي آن داون) التي يحـرص القـرصـان الاعـرج التائب (كيرك دوغلاس) على مساعدتها وانقاذها من شرور القرصان الشرير (نيفيل براند) في سيـاق البحث عن كنـز مخبأ في الجـزيرة. وهو فيلم مغامرات لايخلو من افتعال.

وكان اخر فيلم ظهر فيه مارك ليستر ممثلاً هو الفيلم الانكليزي الهنغـاري المشتـرك (الامير الفقير - ١٩٧٧) من أخراج: ريشارد فليشـر (مـواليد نيويورك ١٩١٦ وهو ابن فنان الرسوم المتحركة: ماكس فليشـر). والفيلم مأخـوذ عن روايـة مارك توين المعروفة.

تقع الاحداث في انكلترا القرن السادس عشر، ويؤدي فيه مارك ليستر دوراً مزدوجاً لشابين متشابهين تماماً يحتل كل واحدٍ منهما موقع الآخر لايام قليلة ليمرّ بجملة مواقف محرجة ومفارقات ومغامرات. أحدهما الامير ادوارد - ابن هنري الثامن، وثانيهما الشاب الفقير: توم كانتي. والفيلم من نمط الانتاج الضخم، وقد اشترك فيه ممثلون مشهورون منهم: شارلتون هستون وريكس هاريسون وأوليفر ريد وراكيل والاش وجورج سي سكوت وايرنست بورغانين وهاري أندروس.

ويهمنا هنا أنّ مارك ليستر يؤدي دوراً رئيسياً صعباً، ولكنه - وقد صار بالغاً - لم يعد وسيماً جذاباً كما كان في طفولته، كما فقد موهبته وتألقه في التمثيل، وهكذا كان أداؤه باهتاً للغاية وبعد هذا الفيلم لم يظهر في أي فيلم على الاطلاق. ولعل مارك ليستر قد انتقل الى الاخراج فلقد ظهرت بعد هذا التاريخ مجموعة افلام انكليزية تحمل اسم المخرج: مارك ليستر

- لعله هو نفسه - وهي تدور عن الشباب في معظمها، وتكشف عن اتقان حِرفي للصنعة لا بأس به. ولكن موضوعاتها جميعاً ليست تربوية على الاطلاق! وهذه الافلام المقصودة ثلاثة أفلام، احدها فيلم عنف وانتقام بعنوان (صيف ١٩٨٤ - مصنوع عام ١٩٨٢) من تمثيل: بيري كينغ ورودي ماكدويل، والثاني فيلم شباب وغناء ورقص بعنوان (رولر بوجي - ١٩٨٢) من تمثيل ليندا بلير والثالث فيلم كوارث ورعب بعنوان (الطفلة الخارقة - أو مشعلة الحرائق - ١٩٨٤) من تمثيل الصغيرة: دراو باريمور.

ونعود الى الممثلة (ليندا بلير) التي ارتبط اسمها بظهورها في سن العاشرة في فيلم الرعب والأرواح الشريرة: (طارد الارواح: ايكسورسيست - ١٩٧٢) من أخراج: ويليم فريدكن، ثمّ في الجزء الثاني منه: (الهرطقة - ١٩٧٧) من أخراج: جون بورمان. وقد اشرنا اليهما في فقرة سابقة.

وكان من حظ هذه الممثلة الصغيرة انها لم تظهر في أية أفلام تربوية تخاطب الصغار.

وبعد أن كبرت ليندا بلير استمرت في عالم التمثيل وظهرت في بطولة افلام مختلفة. ولكن أدوارها صارت اعتيادية، اذْ لم تعد بالممثلة المرموقة لقد رأيناها هنا في فيلم (الحصان الجامح - ١٩٧٨) من أخراج ايريك تيل. عن فتاة تتصرف مثل الصبيان، وهي مولعة بالخيول، وتدافع عنها ضدّ من يتاجرون بلحومها. وتقود قطيعاً منها عبر الجبال في مغامرة شائقة، وفيه ظهر ريشارد كرينا في دور والدها.

وهناك دورها في فيلم (رولر بوجي - ١٩٨٢) من أخراج: مارك ليستر. وهي فتاة عصرية ثرية وتدور أحداثه في عالم الشباب اللاهي وحلبات الرقص وقباقيب التزلج.

وفيلم (الرهينة الحسناء - أوائل الثمانينات) من أخراج: لي. فيلبس وتمثيل: مارتن شين. وهو فيلم عاطفي يعتمد على التشويق، وتؤدي فيه دور فتاة تقع في هوى خاطفها الذي خطفها طلباً للفدية.

وما تزال ليندا بليرتؤدي أدواراً مختلفة في أكثر من فيلم دون أن تدقّق كثيراً في أختيار موضوعات أفلامها ومستوياتها.

***

وكانت (جودي فوستر) صبية جميلة. ظهرت في السينما مبكراً، منذ سن الثالثة. واشتركت في عدد من المسلسلات التلفزيونية. وكان لها شقيق يكبرها سناً عمل في التمثيل قبلها. وتتحكم والدتها تماماً في عقود عملها التمثيلية.

ولدت عام ١٩٦٢. واشتركت في عددٍ من الافلام الروائية الطويلة من انتاج مؤسسة والت ديزني، منها: (نابليون وسامانثا ـ ١٩٧٢)، (واستعراض الشمعة ـ ١٩٧٧) من اخراج: نورمان توكار، وتمثيل: ديفيد نيفن، و(عطلة فريكي ـ ١٩٧٧) من اخراج: غاري نيلسون وتمثيل: باربارة هاريس. وهي أفلام تربوية اجتماعية تصلح للعوائل، وطدت التعامل مع ملامحها الطفولية البريئة. كما ظهرت في أفلام اخرى ذات طابع مشابه، منها: (الفتاة التي تسكن أسفل الطريق ـ ١٩٧٧)، و(أصداء الصيف ـ ١٩٧٧) اخراج: دون تايلر، وتمثيل: ريشارد هاريس. وغيرهما. ولنلاحظ أنّ اشتراكهما في الأفلام كان مكثفاً للغاية.

على أنّ أهم أدوارها السينمائية كانت ذات طابع مختلف للغاية. وأعني بذلك فيلمين معروفين لمخرجين قديرين:

أولهما: فيلم (سائق تاكسي ـ ١٩٧٦) من أخراج الامريكي القدير: مارتن سكورسيس، عن سيناريو أصيل للكاتب السينمائي المعروف: بول شرودر، من تمثيل: روبرت دي

نيـرو. عن سائق تاكسي يدور في شوارع نيويـورك ويلاحظ بألم كثيراً من الظواهر السلبية وامتهان الانسان وتؤدي فيه جودي فوستر دور فتاة صغيرة، في سن الرابعة عشرة، تمتهن بيع جسدها على الارصفة.

وثانيهما: فيلم (باغسي مالون ـ ١٩٧٦) وهو فيلم بريطاني من انتـاج مؤسسـة رانك، سيناريو واخراج: ألان باركر. وقد شاهدنا هذا الفيلم هنـا، وهـو فيلم استعـراضي غنائي، تكمن طرافته في كون أبطاله جميعاً من الصغار، وموضوعه هو عصابات الغانفستر في أمريكا في الثلاثينات، وعالم موسيقى الجاز والتهريب وتجارة الخمور السرية، منظوراً الى ذلك كلّه بمنظار طفولي استعراضي (بما في ذلك استبدال شرب الخمر في الحانات بشرب العصير، واستخـدام اسلحة على شكل لعب بدلاً من الاسلحة الحقيقية). وبالرغم من اننا لانستطيع أن نعدّ هذا الفيلم صالحاً للصغار تماماً فأنه ـ على أية حال ـ فيلم طريف يصلح للعرض العائلي.

ولم تعـد فوستـر تشترك في الأفلام بعد أن كبرت. وقد استطاع المخـرج الفـرنسي كلود شابـرول أن يجمعهـا ـ قبـل سنتين ـ مع بروك شيلدز في فيلم عن الحـرب العـالمية الثانية، جرى تصويره في يوغسلافيا، لكنها لم تكن متألقة فيه كما كانت في طفولتها.

***

و (ريكي شرودر) ممثل صغير وسيم بارع، استطاع سريعاً أن يلفت الانظار. وقد رأيناه هنا في عدد من أفلامه. وقد أشرْت فيما سبق الى فيلمه: (البطل - ١٩٧٩) من اخراج: فرانكو زيفيريللي، و (لورد فونتلبوي الصغير - ١٩٨١) من اخراج: جاك غولد.

وقد شاهدنا هنا أيضاً أفضل أفلامه على الاطلاق، وهو فيلم (البقاء والحب - أو: الانتماء الى الارض - ١٩٨٠) من أخراج البريطاني: بيتر كولنسون.

ففي استراليا، وفي منطقة جبلية منعزلة وجميلة وقاسية تلتقي شخصيتان أولاهما رجل عجوز (الممثل: ويليم هولدن) يعود الى المنطقة التي نشأ فيها يائساً مهزوماً فهو مصاب بمرض خطير لن يمهله طويلاً وقد استسلم لمصيره وفضّل أن يقضي ايامه الاخيرة منفرداً منعزلاً.

وثانيتهما: فتى صغير دون العاشرة (ريكي شرودر) سقطت سيارة عائلته من أعالي الجبل فمات في الحادث والده ووالدته وبقي وحيداً ضائعاً وسط المنطقة الجبلية الموحشة القاسية مذهولاً مشتتاً لا يقوى حتى على نطق اسمه واسترجاع تفاصيل حياته.

وكان الذكاء في صناعة هذا الفيلم يكمن في أنه يوحي لنا في معظم اجزائه بأن الرجل العجوز شديد القسوة، ذلك انه قد شاهد الحادث منذ البداية، وبدلاً من أن يبادر الى مساعدة الصغير واحتضانه نراه يكتفي بمراقبته من بعيد، ويعامله - فيما بعد - بجفاء ولا يقدم اليه بشكل مباشر ما يحتاج اليه من طعام

ومساعدة. ولكنه كان في الواقع شديد الرأفة بالصغير وخير معين له. انه يدرك أنّ على الصغير أن يعتمد على نفسه في مواجهة قسوة الطبيعة وصعوبة الحياة، ولن يتحقق ذلك بالحنو عليه بل بتركه يواجه المصاعب بصلابة. وعندما يموت ـ وهذا ما سيحدث في نهاية الفيلم ـ فانه سيكون مطمئناً الى أن الفتى الصغير سيجد طريقه بمفرده الى الأرض المأهولة.

وقد قدّم الفيلم ذلك بكل براعة وهدوء، وبدون شروح أو توضيحات أو اعتماد على الحوار، بل ترك الموقف والاداء يعبران عن الموقف المطلوب مع براعة في التمثيل وجمال زوايا التصوير ودقتها ويختلف الفيلم في منهجه تماماً عن أفلام المخرج بيتركولنسون الاخرى التي تعتمد سمات التشويق والغموض وشد الاعصاب.

وما تزال أمام الممثل الصغير ريكي شرورد فرص الاشتراك في أفلام أخرى.

* * *

أما أحدث نماذج النجوم الصغار فهي الصغيرة (دراو باريمور) ابنة الممثل: جون باريمور، والتي تنتسب الى عائلة عمل معظم أفرادها في التمثيل المسرحي والسينمائي. وكانت قد ظهرت في عمل تلفزيوني منذ كان عمرها أحد عشر شهراً. واشتركت بعد ذلك في عددٍ من الادوار التلفزيونية والسينمائية، منها دور الاخت الثالثة الصغيرة في الفيلم الشهير (اي. تي ـ ١٩٨٢) لستيفن سبيلبرغ.

وقد استقطبت الصغيرة دراو باريمور الاهتمام مؤخراً من خلال دورين رئيسين في فيلمين حديثين :

أولّهما : (الطفلة الخارقة - أو مُشعلة الحرائق - ١٩٨٤)من أخراج : مارك ليستر . وهو مأخوذ عن احدى روايات مؤلف قصص الخيال العلمي والرعب : ستيفن كنغ ، عن الطفلة ذات الاعوام الثمانية ، والتي تتمتع بقدرة خارقة على اشعال النار في أيّ شيء تفكر فيه ، وتحاول احدى المنظمات استغلال قدرتها هذه في اهدافها السرية . ويشترك في تمثيل الفيلم : ديفيد كيث ومارتن شين وجورج سي . سكوت ولويس فليشر .

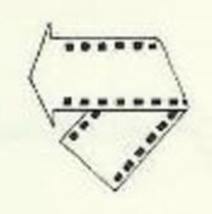
وثانيهما بعنوان (عينا القط - ١٩٨٥) وهو فيلم رعب واثارة ، عن فتاة صغيرة يهدّدها قزم خرافي شرير يسكن داخل أحد جدران غرفتها ويرعبها في الليل ، ويأتي قطّ من الشارع ليحارب القزم الشرير وينقذها منه . صمّم دمية القزم الخرافي الفنان الايطالي : كارلو رامبالدي الذي عرف من خلال تصميمه لدمية شخصية «اي تي» . واشترك في تمثيل الفيلم : جيمس وودز وألان كينغ .

«سينما الصغار : موضوعات واتجاهات»



مارك ليستر، وأوليفر ريد، وراكيل والاش، وهاري أندراوس في

(الأمير والفقير - ١٩٧٧) اخراج: ريشارد فليشر



بعد أن وقفنا، في الفصل السابق، عند ظهور الصغار في الافلام واستخدامهم في السينما، ننتقل الآن للحديث عن موضوعات الافلام المصنوعة للصغار، والصالحة للعرض عليهم.

وازاء تنوع موضوعات سينما الصغار، واتجاهاتها، باختلاف الفنانين وجهات الانتاج، على اتساع رقعة الدول الصانعة للافلام في العالم المتطور. أجد نفسي ملزماً بتحديد ألوان رئيسة معينة اتحدّث عنها من خلالها.

ولنتذكر هنا أنّ هناك كثيراً من الأفلام كانت قد صنعت للكبار، ثمّ صارت تعدّ ممّا يصلح للعرض على الصغار، بفضل طابعها التر بوي، أو طريقة معالجتها لموضوعاتها، أو نظافة صناعتها وخلوّها ممّا يخدش الحياء والمشاعر وممّا يسببّ الرعب والامتعاض والاشمئزاز. والأمثلة على ذلك كثيرة، وبخاصة ممّا صُنع قبل أكثر من عقدين من السنين. وينسحب ذلك على الكثير من أفلام شارلي شابلن القصيرة المبكرة، وأفلام الثنائي لوريل وهاردي - الصامتة منها والناطقة، وأفلام عن شخصيات تدافع عن الخير وتحارب الشر - مثل: روبن هودوويليم تيل وايفانهو وغيرها - والافلام المقتبسة من الاساطير والحكايات الشعبية... وما الى

ذلك .

وقد رأيت أن أتناول موضوعات سينما الصغار واتجاهاتها من خلال المجالات الآتية :

أولاً : سينما الصغار والادب العالمي .

ثانياً : عالم الاساطير والحكايات الشعبية .

ثالثاً : بطولات الصغار .

سينما الصغار والأدب العالمي

نهلت السينما دوماً من معين الأدب العالمي، وهو نبع ثرّ غزير. وكان لسينما الصغار - بالطبع - نصيبها من ذلك.

وهناك في الادب العالمي روايات كتبت للصغار أساساً، وروايات كان أبطالها من الصغار، وروايات صارت تصلح للصغار ولم تكن مؤلفة لهم في الأساس ولكن صار من المألوف منذ وقت طويل تقديمها للصغار، سواء بنصّها الكامل أو بنصوصها المبسّطة الميسّرة بهدف جعلها في متناول ادراكهم وامتاعهم بها.

وستكون هذه هي الاتجاهات التي سأستعرضها فيما يأتي، مراعياً دوماً صلاحية الافلام المذكورة للعرض على الصغار.

***

لقد كتب هانز كريستيان اندرسون (١٨٠٥ - ١٨٧٥) العديد من الحكايات التي تخاطب الصغار والكبار وتجتذبهم معاً، حتى صار من أشهر الكتاب الدانماركيين وأقدرهم، ومن أبرز كتاب حكايات الصغار في العالم. وهو شاعر وروائي ومؤلف دانماركي. نشأ فقيراً، ورحل الى كوبنهاغن بحثاً عن عمل. اشتغل بالتمثيل أول الامر ولكنه لم ينجح،حظي برعاية الملك فردريك السادس الذي وفّر له فرص الدراسة والتجوال في اوربا. نشر عدة كتب كان مصيرها الفشل، ثمّ نشر أول رواية

ناجحة عام ١٩٣٥ . وتلاها بنشر أول مجموعة من الحكايات الخرافية ظهرت فيها عبقريته ، وصار يؤلف المزيد منها ويلقى النجاح . ومن أشهر حكاياته : البطة القبيحة ، وعسكري الصفيح الشجاع ، وعروس البحر الصغيرة (التي صارت رمز مدينة كوبنهاغن) والحذاء الاحمر . . وكثير غيرها .

وقد اهتمت السينما بحكايات هانز كريستييان أندرسون وأقتبست الكثير منها . ومن الملاحظ انّ السينما السوفيتية كانت اكثر اهتماماً بها من غيرها . ومن الصعب احصاء كلّ ما نقلته السينما من حكاياته ، وسوف أشير هنا الى عددٍ منها .

فقد صنع فنان الرسوم المتحركة الفرنسي : بول غريمو (مواليد ١٩٠٥) فيلم الرسوم المتحركة الطويل (الراعية ومنظف المداخن) ـ صنعه عام ١٩٥٣ وأعاد توزيعه عام ١٩٨٠ ـ عن قصة من تأليف هانز كريستيان أندرسون كتب لها السيناريو الشاعر المعروف : جاك بريفير

وصنع ستوديو غوركي المركزي لأفلام الاطفال والفتيان في الاتحاد السوفيتي ، بالاشتراك مع السينما البلغارية ، فيلم (حورية الماء الصغيرة ـ أو: عروس البحر الصغيرة ـ ١٩٧٦) عن واحدةٍ من أشهر حكايات أندرسون ، كتب لها السيناريو: فكتور فيتكو فتش وغريغوري ياغدفلد . عن البنت السادسة لملك البحر التي أحبّت أميراً غرق فانقذت حياته ، وتخلت عن حياة الماء وعن الخلود من أجله ، ولكنه تزوج من غيرها؟ فقرّرت ان تتحول الى زبد بحريّ خالد إذْ لم تشأ ان تنفّذ نصائح أخواتها بقتله بعد أن

رأته سعيداً مع زوجته، فكانت رمزاً للتضحية والتسامح. الفلم من أخراج: فلاديمير بيتشكوف، ومن تمثيل: فيكا نوفيكوفا، ويوري سنكيفتش.

ومن انتاج ستوديو غوركي في موسكو ايضاً كان فيلم (الاميرة على حمّصة - ١٩٧٧) عن قصة اخرى لأندرسون كتب لها السيناريو: فليكس ميرونر. وهي عن أمير من عائلة فقيرة، يبحث عن عروس ينبغي ان تكون أميرة، ويمّر بثلاثة نماذج لأميرات لا يقتنع بهنّ، ثمّ يعثر عليها في مملكته نفسها في شخص فتاة متواضعة يكتشف فيما بعد أنها أميرة متخفية. الفيلم من أخراج: بوريس ريتساريف، وتمثيل: اندري بودوشيان وايرينا ماليشيفا. واشترك فيه ايضاً الممثل القدير: اينوكنتي سموكتنوفسكي.

وفي المانيا الاتحادية صنع يان كينغ فيلم (بائعة الثقاب الصغيرة - ١٩٨١) باسلوب الدمى التي تحرّك بالخيوط (الماريونيت). وهو فيلم دمى طويل عن حكاية قصيرة لأندرسون عن بائعة ... الثقاب البائسة الصغيرة التي تعاني اشتداد البرد فتشعل أعواد بضاعتها من الثقاب جميعاً ثمّ تنام مرتجفة من البرد، وتزورها جنية طيبة. وكان الفيلم أوّل عمل طويل يصنعه يان كينغ، على مدى عدة سنوات كان خلالها يختلس اوقات العمل في الفيلم ويوفرّ ميزانيته خلال عمله في شركات تحريك مختلفة. وكان سعيداً بحصوله عنه على الجائزة الثانية (الفضية) في مهرجان أفلام الحكايات في اورنيس بالدانمارك، موطن اندرسون، وهو مهرجان مفتوح للمحترفين والهواة.

وهنـاك افـلام أخـرى غير هذه مأخوذة ايضاً عن حكاياته، ومن الجدير بالذكر أن هناك فيلما روائيا طويلاً عن حياة هانز كريستيان انـدرسـون نفسـه، مصنـوع في أمـريكا عام ١٩٥٢، ومن آخراج الهنغاري المهاجر الى امريكا: شارلس فيدور (١٩٠٠ - ١٩٥٩) صاحب الأفـلام: غيلدا، واغنية للذكرى، ووداعاً للسلاح. وهو غير المخرج المعروف: كينغ فيدور.

* * *

لم يكتب الانكليـزي دانيـل ديفو (١٦٦٠ - ١٧٣٠) روايتـه الشهيـرة (مغـامـرات روبنسون كروزو المثيرة - ١٧١٩) للصغار بالطبـع، ولكن روايتـه هذه صارت تقدم للصغـار ايضاً منذ وقت طويل في صياغتها الميسّرة. وكان دانيل ديفو كاتباً صحفياً ذا تأثير كبيـر من خلال مجلتـه التي أصـدرهـا في السنوات (١٧٠٤ - ١٧١٣) وكـان قد كسـب عطـف الملك ويليم الثـالث بفضـل قصيـدتـه (الانكليـزي الأصيـل - ١٧٠١)، ولكنه سجن في عهد الـملكـة آن بسـبب قصتـه عن المنشقين في عام ١٧٠٢ والتي كشـف فيها عن نزعتـه المعاديـة لحزب المحـافظين. من أعمـاله الـروائيـة الاخرى: (الفلاندرز قطاع الطرق - ١٧٢٢) و (الزوجة المحظـوظـة - أو: روكسـانـا - ١٧٢٤). ولكن روايته (مغامرات روبنسون كروزو المثيرة - ١٧١٩) هي التي حملت اسمه وشهرته على مرّ السنـوات التـاليـة. وينبغي الاّ ننسى أنّها تعكس بشكل أو بآخر، فكرة تفوق الرجل الابيض وحقّه في الانتشار الاستعماري.

ومنذ وقت مبكـر اعتمـدت السينما هذه الرواية اكثر من مرة،

بشكل مباشر أو باقتباس حرّ. فقد كانت شخصية روبنسون كروزو موضوع أحد الافلام المبكرة، في أوائل القرن، لفنان السينما الفرنسي: جورج ميلييه (١٨٦١ - ١٩٣٩) الذي أدخل المعالجات القصصية الى الفن السينمائي الوليد بشكل مبتكر ناقلاً ولعه وخبراته بالحيل الفنية والسحرية من السيرك والمسرح الى السينما.

كما يوجد هناك فيلم (روبنسون كروزو الصغير - ١٩٢٤) من تمثيل: جاكي كوجان - بطل فيلم (الصبي - ١٩٢١) لشابلن - عندما كان صغيراً. وظهر الممثل الشهير دوغلاس فيربانكس - الأب (١٨٨٣ - ١٩٣٩) في فيلم بعنوان (السيد روبنسون كروزو - ١٩٣٢). وهناك غير هذا وذاك، فضلاً عن تلك الافلام التي اعتمدت الفكرة نفسها، بالتركيز على قيام شخص أو اكثر بالتغلب على متطلبات الحياة ومصاعبها في جزر بعيدة منفردة.

ولم تكن جميع الافلام المأخوذة عن قصة روبنسون كروزو صالحة للصغار، أو قادرة على مخاطبتهم. ومن ذلك مثلاً أن فيلماً جميلاً وممتعاً مثل فيلم (رجل يدعى جمعة - ١٩٧٤) من اخراج الانكليزي: جاك غولد، يمثل اعادة نظرجذرية في هيكل الرواية، وهو يعيد تناول الأحداث من خلال وجهة نظر التابع الاسود «جمعة» الذي لم يعد مجرّد رجل بدائي ينقذ كروزو حياته فيغدو مخلصاً له - كما في الرواية - بل هو في هذا الفيلم رجل له فكر وادراك ومواقف رافضة لهيمنة الرجل الابيض ونزعته

الاستغلالية. وهو فيلم مرح وممتع ومحمل بابعاد فكرية رزينة وعميقة. والفيلم معروض هنا، وهو من تمثيل الممثل القدير: بيتر أوتول في دور: روبنسون كروزو.

أمّا الفيلم المصنوع عن هذه الرواية للصغار خصيصاً فهو السوفيتي (حياة روبنسون كروزو ومغامراته المدهشة - ١٩٧٢) من انتاج ستوديوهات أوديسا - وفيها شعبة نشطة وشهيرة لصناعة أفلام الصغار - والفيلم من سيناريو واخراج: فيليكس ميرونير والفيلم معروض هنا، وقد كان مخلصاً لتسلسل أحداث الرواية الاصلية وبنائها، بما في ذلك موقفها من ابناء القبائل البدائية وهيمنة الرجل الابيض الذكي، وبشكل لا يتلائم مع صناعة الفيلم في بلد اشتراكي!.

* * *

وذاعت بين الكبار والصغار معاً رواية (رحلات غاليفر - ١٧٢٦) للكاتب الانكليزي الساخر: جوناثان سويفت (١٦٦٨ - ١٧٤٥). وهو مولود في ايرلندا، ولكنه أمضى معظم حياته في انكلترا حيث كان نشيطاً في مجالي الأدب والسياسة. وكان من رجال الكنيسة غير أنّه كانت له اكثر من صلة عاطفية، أشهرها مع تلميذته «ستيلا» التي تحدّث عنها في مؤلفه «مذكرات الى ستيلا». وكانت (رحلات غاليفر - ١٧٢٦) أشهر أعماله. وقد أصيب بالجنون في أواخر حياته.

وبالرغم من أن «رحلات غاليفر» تشتمل على رحلتين، احداهما الى بلاد الاقزام (ليليبوت) ليغدو بينهم عملاقاً ضخماً،

والثانية في بلاد العمالقة حيث يصير هناك قزماً ضئيلاً، فضلاً عن رحلة الى بلاد الحكماء، وأخرى الى بلاد تتكلّم فيها الخيول.. فانّ رحلته الأولى الى بلاد الاقزام (ليليبوت) هي التي حظيت دوماً بالذيوع والانتشار.

وكانت رحلات غاليفر موضوع أحد الأفلام القصيرة الصامته المبكرة للفرنسي جورج ميلييه في بداية القرن.

وعندما اقتبست السينما السوفيتيية هذه الحكاية كان ممّا نقله غاليفر الى الكادحين المضطهدين في بلاد ليليبوت أفكار تنويرية يسارية تسهم في تنظيم كيانها الاجتماعي والاقتصادي(!) كان ذلك في فيلم التحريك الطويل المصنوع عام ١٩٣٥ بعنوان «غاليفر الجديد» والقائم على حركة قوالب الدمى الشمعية مع ممثل حقيقي واحد يؤدي دور غاليفر. وهو من أخراج الفنان السوفيتي القدير: الكسندر بيتوشكو.

وكانت رحلة غاليفر موضوعاً لفيلم امريكي روائي طويل بالرسوم المتحركة في سنة ١٩٣٩ من صناعة فنان التحريك الكبير: ماكس فليشر (المولود في النمسا عام ١٨٨٩، والمهاجر الى امريكا، ومبتكر شخصية باباي البحار). وقد شاهدنا هنا فيلم الكارتون الطويل هذا (رحلات غاليفر - ١٩٣٩) اكثر من مرة خلال التلفزيون. وهو يتسّم بما يطبع أفلام ماكس فليشر الكارتونية الطويلة عموماً (وقد شاهدنا هنا منها ايضاً فيلم: السيّد هو بيتي يذهب الى المدينة - ١٩٤١) والتي تركت أثرها في اسلوب والت ديزني في أفلامه الكارتونية الطويلة. ففي هذا

الفيلم حركة سريعة ، وشخصيات متميزة ذات ثيمات وتصرفات خاصة ، واهتمام بالفكاهة الزاعقة ،واغنيات جميلة وحكاية حب رومانسية ايضاً ، فضلاً عن حرص ملء الكادربالكثير من التفاصيل الدقيقة .

وقد عادت السينماالبريطانية الى رحلة غاليفر في السبعينات ، في فيلم (رحلات غاليفر - ١٩٧٧) سيناريو: دون بلاك ، وهو فيلم صالح للكبار والصغار من اخراج : بيتر هانت - بالرغم من أنّه مخرج متخصص في صناعة أفلام المطاردات والمغامرات البوليسية . والفيلم من بطولة الممثل القدير : ريشارد هاريس الذي ادى دور غاليفر ، وكان الممثل الحقيقي الوحيد وسط شبخصيات وخلفية من الرسوم المتحركة .

وقد حظيت رواية (أليس في بلادالعجائب) من تأليف لويس كارول بالكثير من روايات الصغار رغم انها لم تكن كذلك لدى مؤلفها . ولويس كارول هو الاسم المستعار لعالم الرياضيات والكاتب البريطاني : تشارلس لوتودج دودجسن (١٨٣٢ - ١٨٩٨) ، ومن بين ماكتبه في الرياضيات كتاب «اقليدس ومنافسوه في العصر الحديث» وقد نشر حكاية أليس باسمه المستعار ، وهي على أجزاء تحمل عناوين : «مغامرات أليس في بلاد العجائب ، وخلال المرآة ، وماذا وجدت أليس هناك ؟» وقد كتب ايضاً مجموعة قصائد فكاهية .

ويبقى فيلم الرسوم المتحركة الطويل «أليس في بلاد العجائب - ١٩٥١» الذي صنعه والت ديزني من أشهر ما صنعته السينما عن

هذه القصة.

ثمَ عادت اليها السينما البريطانية فتناولتها في فيلم روائي طويل، يعتمد الاستعراض والاغنيات، بعنوان «مغامرات أليس في بلاد العجائب ـ ١٩٧٢) سيناريو وآخراج: ويليم ستيرلنغ. موسيقى: جون باري. وظهرت فيه الصغيرة: فيونا فوليرتن في دور: أليس (وقد عادت هذه الممثلة الى السينما مؤخراً، بعد أن كبرت، لتظهر في أدوار عاطفية وفي أفلام مغامرات، بعد طول انقطاع). والفيلم معروض هنا، وفيه جهد كبير في صناعة الخدع السينمائية والمؤثرات الخاصة المصاحبة لمواقف مثل سقوط أليس في البئر الذي هبط اليه الأرنب، وتتابع حالات تضخم حجم أليس ثمّ تضاؤلها، وتفاصيل الحفلة في الغابة حيث تتعاقب الحيوانات الغريبة وملكة الكوتشينة واتباعها وغير ذلك. وفي الفيلم اغنيات جميلة. ومع ذلك لم يكن الفيلم متألقاً بما فيه الكفاية. وكان بين الممثلين الذين اشتركوا في الفلم الممثلان القديران: بيتر سيلرز في دور الارنب المجنون، ورالف ريشاردسون في دور: السحلية.

لا جدال في أن مارك توين (١٨٣٥ ـ ١٩١٠) من أعظم الكتاب الساخرين في امريكا. لم يكن كاتباً للصغار، ولكن عالم الطفولة الجميل الذي استعاده في رواياته الرئيسة، وسخرياته اللاذعة، قد أمتع الكبار والصغار. ومن الملاحظ أنّ ابطال أشهر ثلاث روايات كتبها كانوا من الصغار، تلك هي رواياته: (توم سوير ـ ١٨٧٩)، و(مغامرات هكلبري فين ـ

١٨٨٤). وقبلها (الأمير والفقير - ١٨٨٠). وهذه الروايات الثلاث هي التي اقتبستها السينما اكثر من مرة.

اشتغل مارك توين قبطاناً في نهر المسيسيبي عام ١٨٥٧ حتى اندلاع الحرب الأهلية الامريكية. اشتهرت له في البداية قصته (الضفدع القافز الشهير من مقاطعة كلافراس - ١٨٦٥). تزوج في عام ١٨٧٠ وعاش زمناً في نيويورك. ثم استقر في كونكتاكت كاتباً فيه مؤلفاته.. ولعلّه كان يروي ذكريات طفولته على ضفاف المسيسيبي وجانباً من الحياة التي خبرها شخصياً في روايتيه (مغامرات توم سوير - ١٨٧٦)، و (مغامرات هكلبري فين - ١٨٨٤). وكان الفتى المتشرد فين صديقاً لتوم في اولاهما، ثمّ انفرد بالمغامرة والتجوال والاستكشاف في الثانية. وجرت أحداث اثنين من رواياته الاساسية في بريطانيا، احداهما روايته (الامير والفقير - ١٨٨٠) التي تقع احداثها في انكلترا القرن السادس عشر، والثانية روايته الساخرة التي تمزج بين الماضي والحاضر المعاصر (أمريكي من كونكتاكت في بلاط الملك آرثر - ١٨٨٩). ومن الغريب أن هذه الاخيرة لم تتحول الى فيلم سينمائي بعد. من أعماله الاخرى: (متسول في الخارج - ١٨٧٩) وهو كتاب رحلات، وكتاب (الحياة في نهر المسيسيبي - ١٨٨٣) وهو وثيق الصلة بذكرياته وانطباعاته الشخصية. تغيرت نظرته فيما بعد بتأثير فقدانه لثروته (عام ١٨٩٣) ووفاة ابنتيه وزوجته التي بقيت طريحة الفراش عدة سنوات، اضطر الى السفر لالقاء محاضرات، وكتب في أواخر حياته مؤلفات تعكس

تشاؤمه وحزنه، منها (الرجل الذي أفسد هيدلبرج - ١٨٩٩) و (ما هو الانسان؟ - ١٩٠٦).

كان الممثل كاجي كوجان قد ظهر في فيلم «توم سوير» عام ١٩٣١، وفيلم «هوكلبري فين» عام ١٩٣٢. واشترك الممثل المعروف: ميكي روني (ولد عام ١٩٢٢، وكان ممثلاً منذ سنوات طفولته المبكرة) في فيلم أمريكي عن (مغامرات هكلبري فين - ١٩٣٩). وكان الممثل الشهير ايرول فلين (١٩٠٩ - ١٩٥٩) بطلاً لفيلم (الامير والفقير - ١٩٣٩) وربّما كانت هناك اقتباسات سينمائية قديمة أخرى لهذه الروايات الثلاث.

وصنعت السينما البريطانية في عام ١٩٧٣ فيلم «توم سوير» من اخراج: دون تايلر. تمثيل الصغير: جوني وايتيكر في دور توم والصغير: جيف أيست في دور: هكلبري فين. مع: وارين اوتيس في دور الرجل السكير. وهو فيلم طريف، تميز بمجموعة الاغنيات والموسيقى التي وضعها الفنانان: ريشارد شيرمان وروبرت شيرمان.

وفي السنة التالية، ١٩٧٤، كان الفيلم البريطاني «هكلبري فين» من اخراج: جي. لي. تومسون. وهو - مثل سابقه - فيلم استعراضي غنائي خفيف، وضع اغانيه وألحانه وموسيقاه: الفنانان: ريشارد شيرمان وروبرت شيرمان. وظهر فيه الصغير: جيف ايست نفسه في دور: هكلبري فين، ومعه: بول وينفيلد في دور صديقه الأسود: جيم.

امّا الفيلم البريطاني الهنغاري المشترك (الامير والفقير -

١٩٧٧) من أخراج: ريشارد فليشر، فقد سبق أن اشرت اليه عند الحديث عن افلام الممثل الصغير: مارك ليستر.

* * *

ولن ننسى الكاتب البريطاني: روبرت لويس ستيفنسن (١٨٥٠ ـ ١٨٩٤) وروايته الشهيرة: (جزيرة الكنز ـ ١٨٨٣).

وروبرت لويس ستيفنسون روائي وشاعر وكاتب مقالات ولد في ادنبرة، وعاش طوال حياته مريضاً بداء السل، وكان يكثر من الرحلات، بحثاً عن المشاهدات وعن المناخ الملائم لصحته. بدأ كتابة المقالات منذ عام ١٨٧٦. كتب الكثير من المقالات والقصص القصيرة والروايات وكتب الرحلات. ويبدو أن كتبه كانت شديدة التباين والاختلاف. اشتهرت له، بشكل خاص، روايتان، اقتبستهما السينما اكثر من مرة، احداهما روايته (جزيرة الكنز ـ ١٨٨٣)، والاخرى رواية (قضية الدكتور جيكل والمستر هايد الغريبة ـ ١٨٨٦) التي كان فيلم فريدريك مارش في عام ١٩٣١ أعظم اقتباس سينمائي لها، وهو من آخراج: روبين ماموليان ومن أعمال ستيفنسون الأخرى: (الأمير أوتو ـ ١٨٨٥)، و(حديقة أشعار الطفل ـ ١٨٨٥)، ورواية (القديس ليفنز) التي مات عام ١٨٩٤ قبل أن يفرغ من كتابتها.

بقيت شخصيات (جزيرة الكنز ـ ١٨٨٣) وأحداثها حية في أذهان القراء والمشاهدين: الصبي الصغير، والقرصان ذو الرجل الخشبية، والببغاء، والصراع بين القراصنة حول الكنز المدفون في الجزيرة. وقد صارت هذه الرواية فيلماً اكثر من مرة.

هنــاك فيلم (جـزيـرة الكنـز ـ ١٩٢٠) من اخــراج الفــرنسي : مورنيس تورنيـه (١٨٧٨ ـ ١٩٦١) صنعـه في امريكا خلال الفترة التي أقـام خلالهـا في هوليوود قبل عودته الى فرنسا ثانية . والفيلم الامــريكي (جـزيـرة الكنز ـ ١٩٣٤) من اخراج المخرج القدير : فيكتــور فلمنــغ (١٨٨٣ ـ ١٩٤٩) ـ مخـرج ذهب مع الـريـح ، ودكتـور جيكـل ومستـر هايـد الـذي مثلتـه انغـريد بيرغمان (عام ١٩٤١) ، وجـان دارك ، وغيـرها ـ وهنـاك الفيلم السوفيتي (جزيرة الكنــز ـ ١٩٣٨) من اخــراج : فلاديميـر فانيشتـوك . ثم كان فيلم (جـزيـرة الكنـز ـ ١٩٥٠) أوّل فيلم روائي طويل اعتيادي (وليس من أفـلام الـرسـوم المتحركة) ينتجه : والت ديزني . وربما كانت هناك اقتباسات اخرى لهذه الرواية في السينما .

ومـن تـأليـف روبــرت لويس ستيـفنســون ايضــاً كان فيلم (سكـالاواج ـ ١٩٧٣) الـذي مثله وأخـرجـه كيـرك دوغلاس تلبية لرغبــة في نفســه . وقـد سبق أن أشـرت اليـه في أفـلام الممثـل الصغير : مارك ليستر . وموضوعه هو القراصنة والكنوز ايضاً .

وعادت مؤسسة والت ديزني مؤخراً لتصنع ، في بريطانيا ، فيلم (السهم الأســود ـ ١٩٨٤) عن قصـة من تأليف : روبـرت لـويس ستيفنسون ، ولكن أحداثها ـ هذه المرة ـ تجري في عصر الفرسان في القرون الوسطى وتروي انتقام الابن من قاتلي والده الاربعة . والفيلم من تمثيـل : أوليفـر ريـد ودونـالد بليسنس وفرناندو راي . وفي العـام التـالي قدّمت السينما السوفيتية فيلماً عن القصة نفسها (السهم الأسود ـ ١٩٨٥) من أخراج : سيرغي تاراسوف .

***

ولابد من وقفة عند روايات الخيال العلمي المبكرة، التي تمزج المغامرة بآفاق استشراف المستقبل وابتكارات العلم، لدى اثنين من أشهر روّادها، هما الفرنسي: جول فيرن (١٨٢٨ - ١٩٠٥) والانكليزي: هربرت جورج ويلز (١٨٦٦ - ١٩٤٦).

وبمثل ما انتشرت طبعات رواياتهما كثيراً، بنصوصها الأصلية أو طبعاتها المبسطة المختصرة، تعدّدت الافلام التي اقتبست رواياتهما العديدة، أو أعادت اقتباس روايات معينة منها اكثر من مرة.

ومن الواضح أن الافلام المأخوذة عن رواياتهما لم تكن جميعها صالحة للعرض على الصغار. ومن ذلك مثلاً أن الفيلم المأخوذ من رواية جول فيرن (فنار على قمة العالم) والمصنوع في بداية السبعينات، من تمثيل: كيرك دوكلاس يول براينر وسامانثا ايغر وريناتو سلفاتوري، وأحسبه من أخراج يول براينر نفسه، كان يحوي من مشاهد العنف والقسوة والغلظة والاغتصاب على وفرة تجعله غير جدير بالعرض على الصغار. وهو عن مجموعة من لصوص البحر يتزعمهم رجل مغرور مهووس (بول براينر) تسيطر على فنار منعزل في منطقة صخرية وتتحكّم فيه بما يجعل السفن تصطدم بالصخور بهدف سلب محتوياتها. وهناك حارس الفنار الذي يحاول منفرداً أن يوقف كباح نزواتهم (كيرك دوكلاس). وتكون بين راكبات السفينة الغارقة خادمة تتظاهر بأنها سيدة، مستعيرة ملابس سيدتها الغريقة، كي تحظى بشيء من الامتياز في المعاملة (سامنثا ايغر). والفيلم معروض هنا، وهو يتميز بشيء من

التهويل في صناعة مواقف العنف والتشويق، وبكثير من الميل الى استخدام اللقطات القريبة للوجوه بهدف ابراز اداء كلّ من بول براينر وكيرك دوكلاس.

ومثل ذلك يقال عن رواية هـ. ج. ويلز (جزيرة الدكتور مورو) التي أخرجها للسينما: دون تايلر عام ١٩٧٧، في فيلم من تمثيل: بيرت لانكستر ومايكل يورك وبرباره كاريرا. فقد كان الفيلم حافلاً بمشاهد الرعب، والمفاجآت العنيفة، وقد بذل فنانو المؤثرات الخاصة فيه جهداً كبيراً في صناعة الكائنات الضخمة الغريبة في الجزيرة وتشكيل هيئة الرجال المرعبين الذين كان الدكتور مورو يجري عليهم تجاربه. وهذا الفيلم غير معروض هنا.

امّا الافلام الثلاثة التي صنعها المخرج الانكليزي: بيرت غوردون عن روايات هـ. ج. ويلز فقد تحوّلت الى مجرد تقليد لنهج أفلام الكوارث القائمة على مهاجمة حيوانات نعتبرها قليلة الشأن أو أنيسة للبشر وأفتراسها لهم ولم يبق فيها شيء من روح أعمال هـ. ج. ويلز الاصيلة وأفكاره. لقد صنع بيرت غوردون فيلم (طعام الآلهة) عام ١٩٧٥، من تمثيل، ايدي لوبينو وباميلا فرانكلين، مستغلاً رواية ويلز الشهيرة ذات العنوان نفسه ليصنع فيلم رعب اعتيادي بشع تهاجم فيه الجرذان الهائلة الحجم - بفضل ذلك الطعام الخاص الذي تناولته - البشر وتفترسهم. وعاد في الفترة نفسها ليصنع فيلم (قرية العمالقة) على النهج نفسه مستغلاً هذه المرة ضخامة حجم حيوانات القرية الأليفة. وبعد

سنتين، صنع فيلم (امبراطورية النمل ـ ١٩٧٧) عن قصة شهيرة من تأليف ويلز، كان من تمثيل: جوان كولينز، وفيه مسخ أفكار ويلز التي تناقش السلوك الجمعي الرتيب واستلاب الافكار ليقدم فيلم رعب ساذج عن سيطرة النمل الضخم على مجموعة من البشر. وهذه الافلام الثلاثة جميعاً معروضة هنا، وهي متواضعة وساذجة للغاية في بنائها وصنعتها السينمائية.

عاش الروائي الفرنسي: جول فيرن فيما بين (١٨٢٨ ـ ١٩٠٥) وكتب العديد من روايات الاسفار العلمية والخيال العلمي ذاعت بين الناس سريعاً. وقد اقتبست السينما أعماله منذ وقت مبكّر، فقد أقتبسَ الفرنسي جورج ميلييه فيلمه الرائد (رحلة الى القمر ـ ١٩٠٢) من رواية جول فيرن (من الارض الى القمر) التي كتبها عام ١٨٦٥.

واستطيع ان أزعم أن معظم رواياته قد اقتبست، وأعيد اقتباسها في السينما. ينطبق ذلك على رواياته: خمسة اسابيع في منطاد، ورحلة الى مركز الارض، وغواصة الكابتن نيمو (وآخر ما شاهدناه هنا عنها فيلم مصنوع في أوائل السبعينات من تمثيل عمر الشريف)، وعشرون ألف فرسخ تحت البحر (وأشهر ما صنع عن هذه الرواية هو الفيلم الذي أخرجه: ريشارد فليشر عام ١٩٥٤)، وغيرها.

وهناك ايضاً روايته الشهيرة (حول العالم في ثمانين يوماً ـ ١٨٧٣) التي صارت فيلماً في عام ١٩٥٩ من تمثيل: ديفيد نيفين في دور: فيلياس فوغ الرجل الدقيق في مواعيده وتخطيطه

والحريص على اكمال جولته الدائرية عبر الكرة الارضية في الموعد الذي راهن عليه بالرغم من كلّ الصعوبات والطواريء . وروايته التاريخية (ميشيل ستروغوف : رسول القيصر) عن روسيا القيصرية صارت فيلماً أكثر من مرة ، آخرها في السبعينات من تمثيل : جان فيليب بو.

وقد اقتبست السينما السوفيتية ايضاً احدى روايات جول فيرن في فيلم (أولاد الربان غرانت - ١٩٣٦) من أخراج : فلاديمير فانيشتوك .

أما الاديب والصحفي والروائي الانكليزي : هربرت جورج ويلز (١٨٦٦ - ١٩٤٦) فقد اتجه نحو روايات الخيال العلمي عن قصد ووعي كاملين . فقد تخرّج في جامعة لندن عام ١٨٨٨ . وتأثر بدروس توماس هنري هكسلي فدرس العلم لبضع سنوات . وكان كتابه «مجمل التاريخ - ١٩٢٠» تفسيراً مادياً للتاريخ . وقد اشترك مع جوليان هكسلي في تأليف كتاب (علم الحياة - ١٩٢٩) . ومن الجدير بالذكر أنّه عندما نطقت السينما تولى هـ . ج . ويلز تحويل كتابه «صورة المستقبل» الى سيناريو سينمائي أخرجه في انكلترا : الامريكي ويليام كاميرون مينزيس . وهذه اسهامة من ويلز في الفن السينمائي جديرة بالتنويه .

وكانت رواية (آلة الزمن - ١٨٩٥) من أشهر رواياته واكثرها جاذبية . وقد تحوّلت في عام ١٩٦٠ الى فيلم صار ذا أهمية خاصة ، انتجه وأخرجه بنفسه الفنان : جورج بال ، المولود في هنغاريه (عام ١٩٠٨) والمهاجر الى بريطانيا ثم الى هوليوود .

وهو فنان رسوم متحركة قدير صار فيما بعد منتجاً ومخرجاً للافلام الروائية الاعتيادية في هوليوود. وقد انتج ايضاً فيلم (حرب العوالم - ١٩٥٣) دون أن يخرجه، وهو مأخوذ عن رواية شهيرة بالعنوان نفسه من تأليف هـ. ج. ويلز أيضاً كتبها عام ١٨٩٨. وقد شاهدنا هنا فيلم (آلة الزمن - ١٩٦٠) اكثر من مرّة، وكان من تمثيل: رود تايلر. وهو يتميز باتزانه، وبراعة صنعته بالرغم من تواضع الظروف التقنية والفنية آنذاك، وباخلاصه لبناء الرواية وروحها وأهدافها.

ومن روايات ويلز الاخرى التي اعتمدتها السينما (جزيرة الدكتور مورو - ١٨٩٦) في أكثر من فيلم، منها واحد من تمثيل الممثل القدير شارلس لوتون عام ١٩٣٣، فضلاً عن الفيلم الذي ذكرناه، والمصنوع عام ١٩٧٧. وقد أشرت ايضاً الى اقتباس روايته (طعام الآلهة) التي كتبها عام ١٩٠٦، وقصته (امبراطورية النمل). اما روايته (الرجل الخفي - ١٨٩٧) فقد اقتبستها السينما عام ١٩٣٣ في فيلم من تمثيل: كلود رينز. وهناك غير هذه وتلك.

* * *

بقي أن أعرض سريعاً لموقف السينما من روايات روائيين آخرين، ما دام المجال لايسمح للمزيد من الوقفات المتأنية.

لقد كان الشاعر والكاتب الروسي الكبير: بوشكين (١٧٩٩ - ١٨٣٧) مولعاً بتمجيد الروح القومية لشعبه، وحريصاً على أن ينهل من تراثه الشعبي وحكاياته الاصيلة. وتحمل الكثير من

أعمـالـه من هذا القبيـل عنـاصـر فنية وايجابية غنية . والى جانب اهتمام السينما السوفيتية بالذات بمختلف أعماله نراها قد صنعت من بعضهـا أفـلاماً تخاطب الصغار بالذات، ومنها أفلام المخرج القـديـر: الكسنـدر بيتوشكو أذكر منها: (حكاية الصياد والسمكة ـ ١٩٣٧) و (حكاية القيصر سلطان ـ ١٩٦٧) و (روسلان ولودميلا ـ ١٩٧٣). وهذه الافلام الطويلة الثلاثة مأخوذة جميعاً عن أعمال لبرشكين.

وفي روايـات الـروائي الانكليـزي الشهيـر: شارلس ديكنز (١٨١٢ ـ ١٨٧٠) اكثر من روايـة كان ابطـالهـا من الصغار، مثل روايتيـه (أوليفر تويست ـ ١٨٣٨) و (ديفيـد كوبـرفيلد ـ ١٨٥٠) فضـلاً عن مرحلة طفـولـة بطـل روايتـه (الآمـال العظيمـة). وقد اقتبست السينمـا هذه الـروايـات اكثر من مرة. وأودّ أن أنوّه هنا، بشكـل خاص بفيلمي المخرج البـريطـاني القـديـر: ديفيـد لين (مواليد عام ١٩٠٨) المأخوذين عن أشهر روايات ديكنز: (الآمال العظيمة ـ ١٩٤٦) و (أوليفر تويست ـ ١٩٤٧) اللذين أصبحا من كلاسيكيـات السينمـا البريطانية. وقد أتاح تلفزيون بغداد مؤخراً فرصـة اعـادة مشـاهـدة فيلم ديفيد لين (أوليفر تويست ـ ١٩٤٧).

وممـا يتميـز به هذا الـفيلم: حرْص المخـرج على تقـديم الشخصيات الأساسية والثانوية في انماط تجعلها تنطبع في ذاكرة المشـاهـد، مفيـداً في ذلـك من عـنـاصـر متعـددة. ويتضـح هذا بالذات في شخصية البخيل فاغن التي اداها الممثل القدير: اليك جينيس، وشخصية السيد بامبل مدير الملجأ. ويتميز الفيلم ايضاً باعتمـاده على الصـورة السينمائية اساساً ـ وليس على الحوار ـ في

تجسيد المواقف والانفعالات والتطورات، وبحسن استخدام الظلال للتعبير عن أحياء لندن الكابية آنذاك.

وربّما لايعرف الكثيرون أنّ الشاعر والروائي الانكليزي: روديارد كبلنغ (١٨٦٥ ـ ١٩٣٦) والمعروف بمواقفه المؤيدة للامبراطورية وعظمتها وسيادتها فيما وراء البحار، كان قد كتب قصصاً وروايات لمطالعات الاطفال. ومنها: (ثلاثة جنود ـ ١٨٨٨) و (النور الذي خبا ـ ١٨٩٠) و (كتاب الادغال ـ ١٨٩٤)، و (القواد الشجعان ـ ١٨٩٧) و (كيم ـ ١٩٠١)، وكان كبلنغ قد ولد في الهند، وعاش فيها طفولته، وتركت أساطيرها والحياة فيها أثرها في أعماله، كما في روايته (قصص مبسطة من السهول ـ ١٨٨٨)، وقصيدته الطويلة (الرجل الذي أراد أن يكون ملكاً) والتي صنع منها جون هستون فيلماً جميلاً عام ١٩٧٧ من تمثيل: سين كونري ومايكل كين وكريستوفر بلومر. غلبت النزعة الاستعمارية على أكثر أعماله الشعرية، ومنها: جنجادين، ورسالة الرجل الابيض. وكان أول كاتب يفوز بجائزة نوبل في الأدب في عام ١٩٠٧.

ومن روايته الجميلة التي تجري أحداثها في الهند (كتاب الادغال ـ ١٨٩٤) صنع والت ديزني واحداً من أجمل افلام الرسوم المتحركة الطويلة التي صنعها (وهو فيلمه الكارتوني الطويل السابع عشر) وكان آخر فيلم يشرف على تحضيره، فقد توفي ديزني عام ١٩٦٦ اثناء التحضير لهذا الفيلم الذي ظهر بالعنوان نفسه (كتاب الادغال) في عام ١٩٦٨. والكتاب في

الحقيقة مجموعة مغامرات تجري في الهند حول شخصية الفتى «موجلي» الذي رعته الذئاب. وصنع الفيلم شخصيات لا تنسى، مثل الثعبان الشغوف بالتنويم المغناطيسي، والببر الرهيب شيريخان الذي يخشاه الجميع، والدب الظريف: بالو وقبيلة القرود، والنسور الحدباء العارية الرؤوس، وغيرها. وقد كتب اغنيات الفيلم ووضع موسيقاه الفنانان: ريشارد شيرمان وروبرت شيرمان وأخرجه: ولفجانج ريثرمان - وهو من أقدم العاملين في ستوديوهات ديزني وأغزرهم نشاطاً في صناعة أفلامه الكارتونية.

عالم الأساطير والحكايات الشعبية

لعل ما يمتلىء به تراث الشعوب المختلفة من حكايات وأساطير هو اكثر قرباً الى أذهان الصغار وأشدّ اثارة لمتعتهم وشغفهم، لما بين الصغار وطفولة الشعوب من وشائج وعناصر تشابه عديدة. على انّ هذا لايعني - بالطبع - أن كلّ ما تحفظه ذاكرة الامم والقوميات، وما يفرزه لاوعي الجماهير ومشاعرهم الدفينة، يمكن أن يكون صالحاً للصغار. فالفرز والاختيار والتهذيب واعادة الصياغة... كلّها مطلوبة دوماً، فضلاً عن ملاحظة طريقة تعامل السينمائيين مع هذا العالم وأهدافهم من أفلامهم التي يقتبسونها منه.

وعندما نتحدث عن اقتباس السينما للحكايات الشعبية والاساطير، ومدى صلاحية ذلك للصغار وارتباطه بهم، تقفز الى اذهاننا - قبل ايّ شيء آخر - تجربة السينما السوفييتية. ان ولع السوفييت بالحكايات الشعبية والاجواء الاسطورية - سواء بهدف توظيفها لخدمة أفكار معيّنة أو الاكتفاء باستخدامها بشكلها المجرد - واعتزازهم بتراثهم القومي، وتعدّد القوميات التي يضمّها الاتحاد السوفيتي وغنى تراثها بالمأثورات الشعبية والحكايات المتداولة، وكثرة الستوديوهات السينمائية النشطة هناك بتعدّد جمهورياته وقومياته... كلّ ذلك قاد الى كثرة هذا اللون من الافلام عندهم، واتساع تجربتهم في هذا المجال. ولنتذكر ايضاً ان السينما السوفييتية سينما ملتزمة لا تنحو نحو أهداف تجارية، وهذا ما

يجعل مثل هذا النتاج صالحاً في معظمه ـ للعرض على الصغار، فضـلاً عن تخصيص حصّة لا بأس بها منه لمخاطبة الصغار أنفسهم وفق أسس مدروسة ـ كما سيتضح بشكل أدق في الفصل الثالث.

وبـدلاً من استعـراض نمـاذج من هذه الافلام في السينما السوفييتية، وهي كثيرة للغاية، أفضِّل الاشارة الى جهود اثنين من أبـرز صانعي أفـلام الاطفال والفتيان هناك، همـا: ألكسندر بيتوشكـو، وألكسندر رو. وقد حصل عدد لا بأس به من أفلامهما على جوائز في مهرجانات سينمائية محلية وعالمية.

وألكسندر بيتوشكو هو صاحب فيلم (غاليفر الجديد ـ ١٩٣٥) الـذي مزج بين تقنية تحريك الـدمى الشمعية واستخدام ممثل حقيقي بينهـا في دور: غاليفر. وهـو مخرج أفـلام الحكـايات المأخـوذة عن أعمـال من تأليف شاعـر روسيـا الكبيـر: بوشكين، وهي: (حكـايـة الصياد والسمكـة ـ ١٩٣٧)، و(حكـاية القيصر سلطان ـ ١٩٦٧)و (روسلان ولودميلا ـ ١٩٧٣) وهذا الاخير انتاج سينمـائي ضخم رصدت له ميزانية كبيرة وحفل بالكثير من الخدع السينمـائيـة البـارعـة. ومن أفـلامـه الاخرى المصنوعة للصغار، والقـائمـة على حكـايات شعبيـة: (المفتـاح الذهبي ـ ١٩٣٩) و (زهرة من حجر ـ ١٩٤٦) و (سادكو ـ ١٩٥٣) و (ايليا موروميتس ـ ١٩٥٦) و (سامبو ـ ١٩٥٩) وغيرها.

أمّا أشهر افلام الحكايات التي صنعها ألكسندر رو للصغار فهي: (فاسيليسا الحسناء ـ ١٩٤٠) و (الحصان الأحدب ـ ١٩٤١) ـ وقد أعيدت صناعة هذا الفيلم مؤخراً في شكل فيلم رسوم متحركة طويل ومتقن ـ و (كاشي الخالد ـ ١٩٤٥) و (موروزكو ـ ١٩٦٥) و (القرن الذهبي ـ ١٩٧١) وغيرها. ومن الجدير بالذكر أن ستوديو غوركي صنع فيلماً ضخم الميزانية من أفلام الحكايات أهداه الى الكسندر رو على سبيل التحية من زملائه وتلامذته، وهو فيلم (فينيست : الصقر المشرق ـ ١٩٧٥) من اخراج: غينادي فاسيلييف، وتمثيل: لودميلا خيتاييفا وميخائيل بوغوفكين عن سيناريو كتبه: ليف برتيومكين وألكسندر رو نفسه.

وفيما يتعلق بالتراث الشعبي الالماني، أمضى الاخوان غريم سنوات طويلة، في بداية القرن التاسع عشر، لجمع الأقاصيص الشعبية الألمانية وأصدارها في المجموعة المعروفة باسمهما في السنوات (١٨١٢ ـ ١٨١٥). وقد تحمّس المخرج جورج بال (صاحب فيلم: آلة الزمن ـ ١٩٦٠) لصناعة فيلم عنها، في بريطانيا، بعنوان (العالم الرائع للأخوين غريم ـ ١٩٦٣) وهو فيلم باذخ منفذ باسلوب السينيراما والصوت المجسم.

ولن ننسى تجربة المخرج الفرنسي القدير: جاك ديمي (مواليد عام ١٩٣١). وهو واحد من المخرجين الفرنسيين المجددين في الستينات وقد عرف خصوصاً بفيلميه الموسيقيين الشهيرين: (مظلات شيربورج ـ ١٩٦٤) و (آنسات روشفور ـ ١٩٦٦). ولكن جاك ديمي قد بدأ عمله في السينما في أفلام الرسوم

المتحركة مساعداً ل: جورج روكوي. ثمّ صنع عدداً من الأفلام القصيرة قبل أن ينتقل الى صناعة الافلام الروائية الطويلة في عام ١٩٦٠. أمّا ولعه بالحكايات الشعبية وحكايات الجنيات فقد كان بتأثير ملازمته للشاعر والمخرج الفرنسي العظيم: جان كوكتو (١٨٨٩ ـ ١٩٦٣) مساعداً وصديقاً. وقد انعكس هذا الشغف في فيلمين من أفلامه.

أوّلهما فيلم (جلد الحمار ـ ١٩٧٠) من تمثيل الجميلة: كاترين دينوف والممثل الفرنسي المخضرم: جان ماريا. وهو عن حكاية شعبية من حكايات الجنيات، عن فتاة فاتنة مغرورة بجمالها، تسقط ضحية سحر يجعلها تبقى بائسة ومثقلة بجلد حمار قبيح. وهذا الفيلم معروض عندنا، وهو يتميز بالكثير من العذوبة والشفافية والجمال في صناعة كاميراته وتشكيل ألق التحوّلات السحرية فيه.

وثانيهما فيلمه الذي صنعه في بريطانيا (عازف الناي من هاملن ـ ١٩٧١) عن حكاية زمّار هاملن الساحر التي اشتهرت وذاعت بفضل اقتباس الشاعر البريطاني الكبير: روبرت براوننغ (١٨١٢ ـ ١٨٨٩) لها في قصيدة درامية طويلة ممتعة. وهي ـ في الاصل ـ حكاية شائعة في شمال المانيا تعود الى القرون الوسطى، عن عازف الناي الذي عرض خدماته لانقاذ المدينة من الجرذان التي تكاثرت فيها. واجتذبها بنغماته الساحرة ليغرقها جميعاً في مياه النهر. وعندما ماطل حاكم المدينة في أعطائه المبلغ المتفق عليه عاقب الزمار أهل المدينة باجتذابه لاطفالها بنغماته الساحرة،

ذاهِبـاً بهم الى حيث انفتح احـد التـلال وانطبق عليهم جميعـاً باستثنـاء طفـل صغيـر واحـد عاقـه عرجه عن اللحاق بهم ، فتأخر عنهم وبقي حزيناً ومتأسفاً لذلك .

وهنـاك حكـايـات شائعـة كثيرة تناولت السينما كلّ واحدة منها أكثر من مرة .

من ذلـك حكـايـة «سنـدريلا» ، التي كانت تعاني من اضطهاد زوجـة أبيهـا وأختيهـا الشقيقتين ، والتي يسّـرت لها الجنية الطيبة فرصـة حضـور الحفل الراقص في قصر الأمير في أبهى حلّة شرط العودة عند انتصاف الليل . وقد عادت مسرعة تاركة فردة حذائها ولهفـة الامير الشاب عليها . لتنتهي الحكاية نهاية سعيدة بزواجها من الأمير زواجاً وفّر لها الثروة وحياة الترف دون شقيقتيها .

وقـد صارت حكـايـة سنـدريـلا هذه موضوع واحدٍ من أجمل أفـلام الـرسـوم المتحـركـة الطويلة التي صنعها والت ديزني (عام ١٩٥٠) . وفي منتصف السبعينـات اقتبستهـا ستوديوهات المانيا الـديمقـراطية في فيلم روائي طويل مصنوع للصغار، رأيناه هنا، وهو يتميز بانتاجه الضخم وميزانيته الكبيرة نسبياً . ومن بين أبرز ما صنعتـه السينمـا عن حكاية سندريلا : الفيلم البريطاني : (الخف والوردة ـ ١٩٧٦) من أخـراج : بريان فوربس ، وتمثيل : ريشارد شامبـرلن في دور الاميـر ، وجيمـا غرافن في دور سنـــدريـلا ، والعجـوز ايـديث ايفـانـز في دور الملكة الام . وهو فيلم موسيقي غنـائي ، يتميـز بالاغنيـات الاستعـراضيـة التي صنعهـا الفنانان :

ريشارد شيرمان وروبرت شيرمان، وقد عرض هنا اكثر من مرة.

وهناك حكاية «الاميرة النائمة» التي تغار الساحرة الشريرة من جمالها الباهر فتصب عليها نبوءتها القاضية ببقائها نائمة اذا ما وخزتها ابرة المغزل، وتمنحها الجنيات فرصة الاستيقاظ من النوم اذا ما قبّلها الأمير الوسيم. وقد رأينا هنا فيلم الرسوم المتحركة الطويل الممتع الذي صنعه والت ديزني بالعنوان نفسه (الاميرة النائمة - ١٩٥٨) ومن أبرز ما فيه طريقة الفيلم في صناعة شخصيات الجنيات الطيبات الثلاث، وكذلك براعة المشاهد الخاصة باقتحام الامير للقلعة ومحاربته لاعوان الساحرة الشريرة. وقد اقتبست سينما المانيا الديمقراطية ايضاً حكاية الأميرة النائمة في فيلم طويل باذخ مصنوع للصغار.

ولا تفوتنا هنا الاشارة الى أنّ عدداً من الافلام التي تتناول الأساطير والشخصيات اليونانية قد صارت - فيما بعد - صالحة للعرض على الصغار، بفضل بنائها الرصين، واخلاصها للأصل أو نظافتها ممّا لا يصح عرضه على الصغار. وقد ينطبق هذا على الأفلام الخاصة بشخصية «جيسون» وجزّته الذهبية، و «هرقل» وبطولاته الاسطورية، وغيرهما.

وهناك شخصيات أخرى من القرون الوسطى غدتْ اسطورية تنسج حولها الحكايات، وصارت مصدر الهام للادباء والفنانين في أعمالهم المختلفة (ما بين قصائد ومسرحيات وسمفونيات واوبرات ولوحات وغير ذلك). من هذه الشخصيات: الملك آرثر، وروبين هود، ووليم تيل، وغيرهم.

فحكاية الملك آرثر والشخصيات والأساطير المرتبطة بها تحتل مكانة واسعة في الوجدان الانكليزي والاوربي عموماً. وقد عاش آرثر الحقيقي في النصف الأول من القرن السادس الميلادي، ثمّ غلبت على سيرته الصبغة الاسطورية. ووجدت سيرته وعناصرها (السيف السحري، وفرسان المائدة المستديرة، والساحر ميدلين، وقلعة كاميكوت، والكأس المقدس، ولانسيلوت، جينيفر، وبرسيفال، وموروجان، وغيرها) طريقها الى أعمال ادبية وفنية مختلفة.

أما السينما فقد اقتبست الحكاية، أو عناصر منها، في اكثر من ثلاثة عشر فيلماً. ولعل أفضل الأفلام المصنوعة عن الحكاية وعناصرها فيلم (اكسكاليبر - أو السيف السحري - ١٩٨٣) من اخراج: جون بورمان، وتمثيل: نيكول ويليامسون ونيجل تيري.

وكان بين هذه الأفلام العديدة ما صُنع للصغار أساساً، وهذا ما تمثّل في فيلم (السيف في الصخرة - ١٩٦٣) وهو فيلم رسوم متحركة طويل من انتاج: والت ديزني، عن اسطورة سيف النور: اكسكاليبر وعلاقة آرثر بالساحر ميرلين. ثم الفيلم الروائي الطويل القائم على المزج بين الماضي والمستقبل، والمنطلق من موجة أفلام الخيال العلمي السائدة مؤخراً، وهو بعنوان (رجل الفضاء يقابل الملك آرثر - ١٩٧٩) من انتاج: مؤسسة والت ديزني، وقد نُفّذ في الستوديوهات البريطانية.

وليس هنـاك من يجهـل شخصيـة روبين هود، رامي السهم البـارع، الـذي كان يختبىء مع اتبـاعه في غابات شيروود، وكان ينهب الاثـرياء ورجال السلطة المستغلين لمساعدة الفقراء. وهو شخصيـة خيـاليـة لبطـل عاش في انكلتـرا في القـرون الوسطى، وربطت الاسطـورة بينـه وبين الملك ريشـارد قلب الأسد بوصفه بطـلاً يسعى لاعـادة ملكـه اليـه من مغتصبيه اثناء غيابه في حروبه.

وكـان روبين هود ايضـاً محـوراً للعـديـد من الأعمـال الفنيـة والـدراميـة، فضـلاً عن الافـلام والمسلسـلات التلفزيونية. وقد زادت الافـلام المصنوعة عنه على عشرة أفلام ايضاً. وقديماً ظهر دوغـلاس فيـربـانكس الأب في فيلم عن روبين هود عام ١٩٢٢. ولـعـلّ الفيلم الـذي مثّله ايـرول فلين في عام ١٩٣٨ بعنـوان (مغـامـرات روبين هود) هو أكثـرهـا شهـرة وتأثيراً. فقد صار من الاعمـال السينمـائيـة الكـلاسيكيـة بمـا فيـه من عناصر التشويق والطـرافة ورسم الأحداث والشخصيات بكثير من البراعة والقدرة على التأثير.

وهنـا ايضـاً نجـد أفـلاماً صنعت للصغار خصيصاً. ومنها فيلم (قصة روبين هود ورجاله المرحين - ١٩٥١) من تمثيل: ريشارد تود، وانتـاج: والـت ديـزني. وفيلم الـرسـوم المتحـركـة الطويل (روبين هود - ١٩٧٦) الـذي اختـار الثعلب لتجسيـد شخصيـة روبين هود فيه. والفيلم من انتاج مؤسسة والت ديزني ايضاً.

وهنـاك الفيلم الانكليـزي (السهم الذي لايُكسر ـ ١٩٧٦) من اخـراج: مات ماكارثي وجون بلات. وقد استبدل فيه روبين هود الكبير بفتى صغير، وأعيد تشكيل الاحداث نفسها بما يلائم هذا في أجـواء العصـور الـوسطى نفسهـا. وكـان الفيلم من تمثيـل الصغيـرين: بيتـر دينين (في دور: روبين هود) وأمـاندا جونسون (في دور: ليـدي ماريـان. وفي الاتحـاد السوفيتي صُنع فيلم للصغـار، من انتـاج ستوديـو ريغـا، بعنـوان (سهام روبين هود ـ ١٩٧٥) أخرجه: سيرغي تاراسوف، وكان من تمثيل: بوريس خميلنيتسكي.

***

ولا يفـوتنـا التنـويه بحكايات ألف ليلة وليلة، العربية الصياغة الشـرقيـة الـروح. فقـد غدت الليـالي العـربية شهيرة ومؤثرة في الغـرب بمثـل شهـرتهـا وذيوعها في التراث العربي القريب. وقد تركت أثـرهـا وبصمـاتهـا في أعمـال أدبية وفنية عديدة. وصارت شخصيـات مثـل: السنـدبـاد البحـري ورحـلاتـه، وعلاء الدين ومصبـاحه السحري، وعلي بابا ولصوصه الاربعين، وغيرها... شائعـة معـروفـة متـداولـة بين الكبار والصغار، بفضل نشرها في مطبـوعـات مختلفـة الأنواع والمستويات، وانتشارها في الأعمال الادبية والفنية، وبفضل أقتباس السينما لها أكثر من مرة. على أنّ موضـوع تأثيـر «ألف ليلة وليلة» في السينمـا العـالميـة موضـوع متكامل كبير متشعب يحتاج الى دراسة مستقلة خاصة ليس هذا موضعها.

■ بطولات الصغار

يستأثر الصغار ببطولة معظم الأفلام المخصصة لهم، وهذه البطولة المطلقة حق مشروع لهم. ومن المفيد أن نستعرض أبرز موضوعات هذه الافلام من خلال نماذج نختارها لتمثيل مجموعات كاملة من الموضوعات المتشابهة في النمط العام، وإن اختلفت - بالطبع - في التفاصيل الخاصة والاهداف والبناء الفني والتقني ومن الأفضل أن تكون هذه النماذج ممّا عُرض عندنا من أفلام، وممّا لم أشر اليه في الفقرات الأخرى.

ويكاد الهدف التربوي يكون هو الهدف الأساسي من صناعة معظم الأفلام التي تخاطب الصغار. ولاتخلو حبكة أيّ فيلم من أفلامهم من فكرة تربوية أو هدف تعليمي أو نزعة اصلاحية يحرص أصحاب هذه الأفلام على ايصالها الى الصغير في اطار من التسلية والمتعة والتشويق. وهم يتفاوتون في مدى نجاحهم في تحقيق مثل هذه الاهداف، ومدى قدرتهم على الوصول الى اذهان المشاهدين الصغار ونفوسهم.

للصغار دورهم في الموضوعات الوطنية. وفي الفيلم السوفييتي (بنت تبحث عن الوالد - ١٩٥٩) من اخراج: ليف غولوب، ومن انتاج ستوديو: بيلاروسفيلم، يطارد النازيون ابنة أحد رجال المقاومة بهدف اجباره على الاستسلام من خلال تهديده بقتلها، ولكن الطفلة ذات الأعوام الخمسة تجد دوماً من يساعدها ويعينها على الهرب، وعلى رأسهم حفيد حارس الغابة،

وهو صبي في العاشرة خبير بمسالك الغابة والجبال. وينتهي الفيلم نهاية ايجابية بوصول والد الصغيرة مع مجموعته في اللحظات الاخيرة لتصفية مجموعة الجنود الألمان وانقاذ الرهائن، من ابناء القرية، من تنفيذ حكم الاعدام فيهم. تغلب النزعة المثالية على الفيلم، وبناؤه السينمائي اعتياديّ ومألوف في معظم نماذج السينما السوفيتية التقليدية.

وللصغار قدرتهم وجَلَدهم على مواجهة الطبيعة القاسية عندما تجبرهم الظروف على امتحان من هذا النوع. وفي الفيلم البريطاني (سبعة لوحدهم)، المصنوع في أوائل السبعينات، من اخراج: ايرل بيلامي، نجد سبعة أخوة صغار، من البنين والبنات، أكبرهم في الخامسة عشرة، يجدون أنفسهم لوحدهم في البراري الامريكية الموحشة القاسية، بعد وفاة والدهم ومرض والدتهم. ويتصرّفون بذكاء وشجاعة احياناً، ونزق احياناً اخرى ويتعلمون مواجهة الظروف المستجدة. تقع أحداث الفيلم في القرن الماضي. وفيه نزعة تربوية سليمة، مع ميل الى اصطناع التشويق في مواقف متعددة. وفيه ثغرة غير مقبولة تتمثل في التسليم بكون الهنود الحمر متوحشين واعتبارهم أحد عناصر الخطر الأساسية التي تهدّد اولئك الصغار. وينتهي الفيلم نهاية ايجابية بانقاذهم ونجاتهم.

وقد تنشأ صداقة بين صبي وحيوان، ويكون في حبّ الصغير له ما يغيّر من الطبع المتوحش لذلك الحيوان البري. وفي الفيلم السوفيتي (الضاري - ١٩٧٤) من اخراج: تولوش أوكييف،

وانتـاج: ستـوديـو كازاخ فيلم، عن روايـة للأديب القـازاخي الكـلاسيكي: مختـار أورويـزوف، نتابع نشوء صداقة بين صبي وذئب. وكـان أهـالي القـريـة يطاردون ذلك الذئب، حاسبين أنه وراء ما يصيب حيـوانـات القـريـة، في حين يحرص الصغير على انقـاذه منهم. في الفيلم براعـة متميـزة في تصـويـر المشـاهد في الطبيعـة الجليـديـة القـاسية، وفي تدريب الحيوانات، وفي البناء الفني لأحداثه وتصعيد حبكتِه القصصية.

وهنـاك مفـاهيم: الصـداقـة، وضـرورة مواجهـة مشكـلات الحياة، والقدرة على تجاوز العقد النفسية. وفي الفلم الامريكي (حارس جسدي - ١٩٨٠) من اخراج: توني بيل وتمثيل: الصغير كريس ماكبيس وآدم بالدوين ومات ديلون، تواجهنا مشكلة الفتى الذي ينتقل الى مدرسة جديدة في مدينة جديدة، وهناك يجد صبياً شريـراً يفـرض نفسـه على الصغـار الآخـرين ويستحصـل منهم أتـاوات معيّنـة ولا يقـوون على مواجهتـه. ويجد الفتى في طالب آخـر، ضخـم وصمـوت، فرصـة لكبـح جمـاح الصبي الشـريـر، فيحقق له هذا مطلبه ولكنه لا يستجيب لصداقته. ويتضح أن هذا الضخم الصمـوت طيب في داخله، ومسـالم للغـايـة. ولسـوف يهزم ملاكم مغرور يستأجره الصبي الشرير. انّه يعاني من خراب داخليّ ناجم عن تسبّبه باهماله في موت شقيقه الصغير. فيما بعد يحقّق كلّ من الصغيـر وصـديقـه الفتى انتصـارهما على نفسيهما ومخـاوفهمـا الداخلية وعلى تحديات خصميهما، بقليل من الثقة بالنفس وقـوة الارادة. تتصـاعد حبكة الفيلم ببراعة وبساطة معاً،

اعتماداً على الصورة السينمائية أساساً وليس ركام الحوار، وفيه قدر كبير من الشاعرية والرهافة في بناء لقطاته السينمائية وزوايا التصوير وادارة الممثلين.

وعالم الصغار هو عالم الأحلام. وبطل الفيلم السوفيتي: (الحالم - ١٩٧٤) من اخراج الليتواني: أروس جبريوناس، وانتاج ستوديو لاتفيا فيلم، هو طالب مدرسة صغير يجد نفسه دوماً سارحاً في احلامه وبطولاته الخيالية للقصص التي يسمعها أو يقرأها. وكان مثار سخرية زملائه دوماً، ولكنه يجد نفسه ذات مرة مضطراً الى ان يكون بطلاً ومنقذاً حقيقياً عندما لا يكون أمامه سوى المبادرة الى مساعدة الآخرين ما دام زملاؤه لايصدّقونه حين يطلب انجادهم لمن يحتاج الى مساعدة. بناء الفيلم بسيط للغاية، ولعلّه متواضع جدّاً بالقياس الى ما ينبغي توفيرْه في فيلم يعتمد خيال محلّق ينتقل بصاحبه دوماً الى عوالم بطولية خيالية بعيدة عن واقعه اليومي الرتيب.

وقد اتخذت بطولات الصغار سبيلها الى الافلام المستقبلية وأفلام الخيال العلمي. وفي الفيلم السوفييتي (موسكو: كاسيوبا - ١٩٧٤) من اخراج: ريتشارد فكتوروف، وانتاج: ستوديو غوركي لافلام الاطفال والفتيان، نتابع تفاصيل التحليق الى النجمة البعيدة «ألفا» من مجرة «كاسيوبا» على متن المركب النجمي «زاريا - الفجر» بطاقم من الفتيان، بين ١٤ - ١٥ سنة، كان أحدهم - وهو بطل الفيلم - قد تسلّل الى المركبة الفضائية خفية. وبالتالي تتابع التنافر والتعاون ومواجهة الصعاب. وفي

الفيلم السوفيتي (الرحلة الكونية الكبرى - ١٩٧٥) من اخراج: .
فالنتين سيليفانوف، وانتاج: ستوديو غوركي ايضاً، يضطرّ ثلاثة
صغار، صبيّان وبنت، الى قيادة سفينة الفضاء بأنفسهم بعد أن
يمرض ربّانها خلال رحلة فضائية بين محطتين مداريتين. ويقوم
بناء الفيلمين على التقنيات السينمائية المبتكرة والصنعة الفنية
اصنة، وهذان - في السينما السوفيتيية على العموم: دون البراعة
والابتكار والابهار الذي تصنعه السينما الامريكية عندما تعالج
موضوعات وأجواء مماثلة.

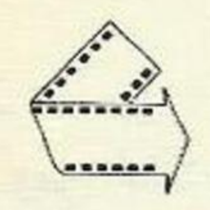
الفصل الثالث

«صناعة سينما الصغار وفنانوها



ريكي شرودر ، وجون فويت

في (البطل - ١٩٧٩) اخراج : فرانكو زيفيريللي



خلال السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية انتظمت صناعة أفلام الصغار وازدهرت وقامت على أسس سليمة الى حدّ بعيد وراحت تتطورّ تدريجياً. على أنّ بدايات التوجه نحو صناعة أفلام تخاطب الصغار كانت قد توفرت قبل ذلك بكثير.

وكانت اوائل تلك الافلام قد صُنعت في اليابان منذ عام ١٩١٩، وفي الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٢٤.

وهناك تجربتان اساسيتان في صناعة سينما الصغار، احداهما في الاتحاد السوفيتي، من خلال ستوديو غوركي المركزي لافلام الاطفال والفتيان، والثانية في امريكا من خلال ستوديوهات والت ديزني. ومن الافضل أن نفرد الحديث عن هاتين التجربتين في فقرتين مستقلتين.

وتحتل بريطانيا موقعاً متميزاً في صناعة أفلام الصغار. وقد تولت شركة أفلام رانك صناعة هذه الافلام منذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٥٠. ثمّ انتقلت المهمة الى اكتاف «مؤسسة أفلام الصغار» منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٤، تحت اشراف «ماري فيلد» التي دوّنت تجربتها في هذا المجال في كتابها «الصحبة الطيبة» الذي سنشير اليه مرة أخرى فيما بعد، وفي الحالتين كان انتاج افلام الصغار يعتمد على مساعدة مالية من «مؤسسة السينما

البريطانية».

وقد اكتسب صانعو الأفلام هناك خبرة متنامية. ومن الملاحظ أن أفلام شركة رانك المبكرة للصغار قد وصفت بأنها ساذجة ومباشرة ووعظية اكثر ممّا ينبغي.

وعندما توقّفت المنحة المالية تعرقل عمل شركة رانك ومؤسسة افلام الصغار. ومع ذلك كان السينمائيون البريطانيون قد اكتسبوا خبرة في هذا المجال، حتى لنجد الامريكي والت ديزني يصنع معظم أفلامه الروائية الحية (الاعتيادية) في الستوديوهات البريطانية، بممثلين وفنيين بريطانيين. وجاء التلفزيون فازدهرت هذه الصناعة. وقد شاهدنا هنا العديد من نماذج الأفلام المصنوعة للصغار، والمخصصة للعرض التلفزيوني، والمنفذة سينمائياً بأشرطة من قياس ١٦ ملم عادة. وتشترك هذه الافلام في خصائص وتقاليد عمل متشابهة واضحة. ومن النادر أن نجد بينها نموذجاً فنياً فذاً ومختلفاً عن النمط السائد.

وظهر في بريطانيا مخرجون سينمائيون مولعون بصناعة أفلام الصغار، ومنهم: ليونيل جيفريس، وجيمس هيل. وكلاهما بدأ ممثلاً، وما زالا يمثلان في الافلام بين آن وآخر.

من أخراج ليونيل جيفريس شاهدنا فيلم التحليل النفسي: (باكستر - الصبي الحائر - ١٩٧٣) من تمثيل الصغير: سكوت جاكوبي مع: باتريشيا نيل وجان بيير كاسيل وبريت ايكلاند. والفيلم الاجتماعي: (صغار السكة الحديد - ١٩٧٧) من

تمثيل: جيني اوغوتير. والفيلم الموسيقي الغنائي (أطفال الماء - ١٩٨٠) وهذا الأخير يبدأ فيلماً اعتيادياً ثم يتحول الى فيلم رسوم متحركة ابتداء من اللحظة التي يسقط فيها بطله الصغير وكلبه في الماء. وقد اشترك في تمثيله: جيمس ماسون. ومن اخراج جيمس هيل شاهدنا هنا فيلمه: (الحصان الاسود الجميل - بلاك بيوتي - ١٩٧٠) عن قصة من تأليف آن سيويل، وتمثيل: مارك ليستر. وفيلمه (الثعالب تسافر دائماً- بلستون فوكس - ١٩٧٨) عن رواية من تأليف: ديفيد روك، وهو من تمثيل: اريك بورتر وجيرمي كامب وراشيل روبرتس. وهو فيلم متقن وممتع عن ثعلب ينشأ في بيت سائس خيول القصر ويغدو ماكراً وبارعاً في تضليل كلاب صيد اللورد وضيوفه. وفي الفيلم نقد لاذع لعجرفة الطبقة الارستقراطية.

وفيما عدا الاتحاد السوفييتي نشطت صناعة الافلام المخصصة للصغار بعد الحرب في الدول الاشتراكية الاخرى فصارت لها استوديوهات خاصة بها. وقد بدأ ذلك في بولونيا منذ ١٩٥٠، وفي المانيا الديمقراطية منذ ١٩٥٣، وفي تشيكوسلفاكيا منذ ١٩٥٥.

وفي الهند، أقيمت مؤسسة لأفلام الاطفال عام ١٩٥٥. وهي غير حكومية وإن كانت تحظى بمساعدة مالية من الدولة. وقد حققت حوالي ستين فيلماً منذ عام ١٩٥٥ حتى نهاية الستينات. وكان بعضها أفلاماً روائية طويلة.

ومن بين فناني التحريك، من صانعي أفلام الرسوم المتحركة

والـدمى وغيـر ذلـك من ألـوان التحريك، هناك عدد منهم أسّسوا ستـوديـوهـات ووحـدات عمل نشطة غزيرة الانتاج، أسهمت في صنـاعـة الافلام التعليمية والتربوية الى جانب ما تصنعه من أفلام التسليـة والافـلام ذات المنحى الفكـري الخـاص. ومن هؤلاء: جون هالاس، المـولـود في هنغـاريـا عام ١٩١٢ والمقيم في بريطـانيـا منذ ١٩٣٦. والتشيكوسلفاكي: جيري ترنكا (١٩١٢ - ١٩٧٠). ونـورمـان ماكلارين، المولود في اسكتلندا عام ١٩١٤ والمقيم في كنـدا منـذ ١٩٤١. واليـوغسـلافي دوسـان فوكوتيش المـولود عام ١٩٢٧، أحد أنشط مجموعة فناني الرسوم المتحركة اليوغسلاف العاملين في الستوديو الخاص بهم في زغرب منذ عام ١٩٥٦. وفي التـراجم المـذكورة في كتاب (فن الرسوم المتحركة والدمى) مزيد من المعلومات عن هؤلاء وغيرهم.

وينـبـغي أن نقـف الآن وقفـة تفصيليـة عنـد التجـربتين الرئيستين، السوفييتية والامريكية، في صناعة أفلام الصغار:

ستوديو غوركي

في الاتحـاد السـوفييتي اكثر مِنْ ستوديو لصناعة أفلامٍ تخاطب الصغـار، وأخـرى تصلح للعـرض عليهم. والى جانب ستـوديـو غوركي المـركـزي لأفـلام الاطفـال والفتيـان هنـاك ستـوديوهات أخرى، منها:

ستوديو سويوزمولت فيلم، وهو الستوديو الاتحادي لأفلام الرسوم المتحركة.

وستـوديـو تسنتـر ناووتش فيلم، أي: الستـوديو المركزي للافلام العلمية، في موسكو.

وستوديو أفلام التبسيط العلمي في كييف.

وستوديو أوديسا الذي ينتج الكثير من أفلام الصغار الى جانب غيرها.

وفي ستـوديـو دوفجنكـو، في كييـف، شعبـة خاصـة ومهمة لانتاج أفلام التحريك بدأت بالانتاج منذ ١٩٦١.

وفي مولـدافيـا، هناك ستوديو فلورتيشيكا، أي: الزهرة الصغيرة، لصناعة افلام للصغار، ما بين افلام رسوم متحركة وأفلام قصيرة، منذ أواخر الستينات.

فضـلاً عمـا تصنعـه الستـوديوهات المتنوعة في كلّ جمهورية من جمهـوريـات الاتحـاد السوفيتي من أفلام للصغار، ضمن مجمل انتـاجـاتهـا السينمـائية، بين آن وآخر، بما يبرز الخصائص الفنية والقومية لكلّ جمهورية.

ويبقى ستوديو غوركي المركزي لأفلام الاطفال والفتيان هو الاكثر أهمية والاغزر انتاجاً.

تأسسّ ستوديو غوركي في عام ١٩٢٤، وهو يقع في الشارع الذي يطلق عليه حالياً اسم المخرج: سيرغي ايزنشتاين.

وكان أول أفلامه، في عام ١٩٢٤، يحمل اسم «موروزكو»، وهو أفلمة لحكاية شعبية روسية. ومن الجدير بالذكر أن عام ١٩٧٤ قد شهد الاحتفال بمضيّ خمسين عاماً على انتاج أفلام الرسوم المتحركة في الاتحاد السوفييتي.

وفي تلك السنوات صُوّرت في الستوديو أفلام اخرى مهمة. وفي عام ١٩٣٤ كتبت وأخرجتْ المخرجة السوفييتية: مرغريتا بارسكايا فيلماً وصُفَ بأنه من خيرة افلام الصغار آنذاك، وهو «الأخفاف الضاحكة» عن حياة أولاد البروليتاريا الالمانية.

في عام ١٩٣٦ تحوّل الستوديو الى أول ستوديو خاص لانتاج الافلام لأجل الصغار، والوحيد في العالم آنذاك، باسم: سويوز دييت فيلم (ستوديو أفلام الاطفال). وبدأ عدد كبير من المخرجين بصناعة موضوعات سينمائية للأطفال. فقد صوّر ياكوف بروتازانوف فيلم (تلامذة الصف السابع) عن حياة التلامذة السوفييت. وصنع ايغور سافتشنكو فيلم (قصة عن القوزاقي غولتا) عن مغامرات جذابة في زمن الحرب. واخرج فلاديمير ليغوشين فيلم (شراع أبيض في الأفق ـ ١٩٣٧)، عن رواية: فالانتين كاتاييف عن ثورة أكتوبر، وقد عُدّ من أفلام الصغار البارزة. ونقل المخرج الكسندر رو عدداً كبيراً من الحكايات

الشعبيـة الى السينمـا في أفـلام اجتـذبت الصغـار والكبـار. امّـا المخـرج مارك دونسكـوي فقد قدّم معالجة خاصة شهيرة للثلاثية التي كتبها غوركي عن سيرته الشخصية، في ثلاثة أفلام: (طفولة غوركي ـ ١٩٣٨) و (بين الناس ـ ١٩٣٩) و (جامعاتي ـ ١٩٤٠)، وقد تجاوزت هذه الافلام الثلاثة هدفها الأصلي لتحتل موقعاً مهماً في تاريخ السينما السوفييتية.

وقبل الحـرب العالمية الثانية كان قد ظهر حوالي ثمانين فيلماً للأطفال والفتيان.

وفيمـا بين السنـوات ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ برز الاهتمـام بأفـلام المغـامـرات. وخـلال هذه الفتـرة أخـرج مارك دونسكوي فيلمه المتميز (معلمة القرية ـ ١٩٤٧).

وفي عام ١٩٤٨ غيّـروا اسم ستوديـو سويـوز دييت فيلم الى اسم: ستـوديـو غوركي للأفـلام الـروائيـة السينمـائية. وجاء اليه المخـرج الشهير: سيرغي غيراسيموف، وكان من أوائل ما صنعه فيه فيلم (الحرس الفتي ـ ١٩٤٨) عن رواية: الكسندر فادييف. وكـان الستـوديـو في هذه المـرحلة يصنع أفلامه للصغار وللكبار. ومن أبـرز افـلام الصغـار خلالهـا: (مغـامـرات جديدة للقط ذي الجزمة ـ ١٩٥٨) أخراج: ألكسندر رو.

وفي علم ١٩٦٣ أنشيء الستـوديـو المـركـزي لأفـلام الاطفال والفتيـان على أسـاس ستوديو غوركي للافلام الروائية. ومنذ ذلك الحين أخـذ يزداد بسـرعـة عدد الافـلام المصنوعـة من أجلهم. وكـانت هنـاك اعمـال كثيـرة للصغـار مقتبسـة من ألادب الروسي

والسوفييتي والعالمي. ومنذ عام ١٩٧٥ استقرّ معدّل الانتاج السنوي في الستوديو عند حوالي عشرين فيلماً سنوياً.

ستوديوهات والت ديزني

ولـد والت ديـزني في شيكـاغو عام ١٩٠١ ، وكان أصغر أخوته الخمسـة ، لأبٍ فقيـر من أصل ألماني . امتهن عدة مهن مختلفة ، فكان بائع صحـف ، وبائعاً متجوّلاً في محطة سكة حديد ، وسائقاً لسيارة اسعاف خلال الحرب العالمية الاولى .

التحق بعد الحرب باكاديمية الفنون الجميلة في شيكاغو ليدرس فنون التصوير والكاريكاتير . وأقام ديزني مخزنا في هوليوود خلال العشـرينـات ، وأمضى عدة سنـوات في تجارب مختلفة . ثمّ انتج سلسـلة من افـلام الكـارتـون القصيـرة باسم «أليس في بلاد الكـارتـون» في عام ١٩٢١ بالاشتـراك مع الفنـان : ايب ايوركز . وفيهـا صوحبت الاشيـاء الحقيقيـة بالتحـريـك . ثمّ بدأ حلقـات (الارنب اوزوالد ـ ١٩٢٦) .

ولكن صلة ديـزني العميقـة بالجمهـور توثّقت بعـد ابتـداع شخصية الفأر «ميكي ماوس» التي ولدت في حدود عام ١٩٢٨ في فيلميْ «الطـائـرة كريـزي» و «الباخرة ويلي» وكلاهما مصنوع عام ١٩٢٨ . ثمّ انـبثقت الشخصيـات الكـارتـونيـة الشهيـرة من ستـوديـوهـات ديـزني التي صارت تتّسـع وتتّطور ويزداد انتاجها . ودخـل الصـوت الى افـلامـه ، ثم الألـوان الطبيعيـة . ومن هذه الشخصيـات : دونالد دك ، وديزي وميني وبلوتو وبندق وسكروج (العم دهب) وغيرها .

وفي عام ١٩٣٨ ظهر فيلمه الطويل الأول بالرسوم المتحركة (سنوهوايت والأقزام السبعة). وهو واحد من أجمل أفلامه، وفيه تتضح خصائص اسلوبه في صناعة أفلام الكارتون الطويلة. ـ ومن الجدير بالذكر أنّ نسخة مدبلجة الى العربية من هذا الفيلم صنعت في الخمسينات، وأشرف على دبلجتها المخرج الفنان: أحمد كامل مرسي، ولكنها لم تجد طريقها الى التوزيع على نطاق تجاري شامل ـ

ثم تتابعت أفلامه الكارتونية الطويلة، ومنها: (بينوشيو ـ ١٩٣٩) عن حكاية ايطالية شعبية شهيرة حول دمية خشبية لصبي ذي انف طويل، وقد عادت اليها السينما السوفييتية في السبعينات لتقدم عنها فيلماً روائياً طويلاً للصغار. وفيلم (فانتازيا ـ ١٩٤٠) وهو فيلم فريد يرسم الموسيقى بتخطيطات ذكية اعتماداً على مختارات لبتهوفن وباخ وتشايكوفسكي وغيرهم. وفيلم (دومبو ـ ١٩٤١) عن الفيل الطائر الظريف. وفيلم (بامبي ـ ١٩٤٢) وهو نموذج فني رفيع من بطولة غزالة رشيقة حنون. وقد عادت السينما السوفييتية مؤخراً الى هذه الحكاية في فيلم (طفولة بامبي ـ ١٩٨٥) من اخراج: ناتاليا بوندارتشوك (٣٥ عاماً ـ ابنة المخرج الشهير: سيرغي بوندارتشوك ـ وهي ممثلة ومخرجة معروفة) التي اعلنت انّ حكاية بامبي كانت واحدة من القصص المفضلة في طفولتها. وقد حمل الفيلم رؤيتها الخاصة لقصة: فيليكس سالتين، واستبدلت فيه الحيوانات بممثلين، وأسندت دور الغزال الصغير «بامبي» الى ابنها: فانيا بورلييف (في السابعة من عمره)

وقامت هي بتمثيل دور الغزالة الام، وقام زوجها الشاعر: نيكولاي بورلييف باداء دور راوي الحكايات فضلاً عن كتابة أشعار الفيلم وكلمات أغانيه.

وخلال الحرب العالمية الثانية صنع ديزني أفلاماً تربوية، وافلاماً دعائية (بروباغندا).

وبعد الحرب تلقى ستوديو ديزني هزة كبيرة عندما انفصل عنه عدد من أبرز فنانيه العاملين، مؤسسين شركات خاصة بهم لانتاج افلام الرسوم المتحركة، أشهرها «شركة الانتاجات الفنية الامريكية المتحدة ـ ١٩٤٥» ثمّ استقلوا بنشاطاتهم عن بعضهم. ومن هؤلاء: جون هوبلي (صاحب شخصية: ماغي) و ويليم هورتز (صاحب فيلم: وحيد القرن الاسطوري في الحديقة ـ ١٩٥٣)وستيفان بوزوستوف، وبوب كانون، وبيتي بورنيس، وغيرهم.

وفي عام ١٩٥٠ بدأ ديزني في انتاج الافلام الطويلة (الحية) الاعتيادية، وقد بدأها بفيلم (جزيرة الكنز ـ ١٩٥٠) عن رواية روبرت لويس ستيفنسن الشهيرة. وبدأ بصنع سلسلة من أفلام المغامرات الجريئة وأفلام الحيوانات، وأفلام كاملة الطول مخصصة لعالم الطبيعة (ابتداء من عام ١٩٤٨). ومن أبرز أعماله في هذا الاتجاه فيلم (الصحراء الحية ـ ١٩٥٣) وليس فيه ممثلون على الاطلاق وانّما هو متابعة ذكية لعالم الطبيعة. ومن هذه الافلام ايضاً: (قط الادغال ـ ١٩٦٠) و (قبيلة الذئب لوبو ـ ١٩٦٣) وكلاهما بدون ممثلين من البشر.

وواصل صناعة الافلام الطويلة الحية. وقد كان معظمها مصنوعاً في بريطانيا. وكانت فيها أفلام ذات اهتمامات اجتماعية عائلية، واخرى كوميدية خفيفة أو لاذعة، وأفلام مغامرات، وغير

ذلك. نذكر من هذه الافلام: (مغامرات روبين هود ورجاله المرحين - ١٩٥١) من تمثيل: ريشارد تود، وفيلم (ديفي كروكيت - ١٩٥٥) تمثيل: فيس باركر، عن عالم صيادي الفراء في الشمال، وفيلم (الكلب الأشعث - ١٩٥٩) من تمثيل: فريد ماكموري، وفيلم (بوليانا - ١٩٦٠) وفيلم (فخ الوالدين - ١٩٦١) - وهذان الاخيران من تمثيل: هايلي مايلز التي ظهرت في عدد من أفلام ديزني المنفذة في بريطانيا.

وخلال ذلك استمر في صناعة افلام الرسوم المتحركة الطويلة ومنها: (سندريللا - ١٩٥٠) و (أليس في بلاد العجائب - ١٩٥١) و (بيتر بان - ١٩٥٣) و (السيدة والصعلوك - ١٩٥٦) و (السيف في الصخرة: حكاية الملك آرثر - ١٩٦٣) وغيرها.

وفي عام ١٩٥٥ افتتح ديزني مدينته الشهيرة: «ديزني لاند» قرب كاليفورنيا، والتي صارت واحدة من المعالم السياحية الشهيرة في امريكا بما تحتوي من طرائف ومن معالم أفلام ديزني وشخصياته وأبطال الحكايات. (وفي الثمانينات، افتتحت في اليابان مدينة ديزني جديدة قائمة على التقنيات الالكترونية الحديثة).

وفي عام ١٩٦٦ توفي ديزني عن خمسة وستين عاماً. وكان قبل ذلك قد قدّم واحداً من أجمل أفلامه الفانتازية، وهو فيلم (ماري بوبنز - ١٩٦٤) من بطولة: ديبي رينولدز. وهو فيلم استعراضي غنائي ممتع يصاحب فيه الممثلون الحقيقيون شخصيات من

الرسوم المتحركة. امّا آخر فيلم رسوم متحركة طويل أشرف عليه ديزني بنفسه، ولم يعرض الا بعد وفاته، فهو فيلمه الممتع (كتاب الادغال ـ ١٩٦٨) الذي أشرنا اليه في الفصل الثاني، عن قصة من تأليف: روديارد كبلنغ. وهو الفيلم السابع عشر من أفلامه الكارتونية الطويلة، وقد عرض بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على عرض فيلم (سنوهوايت والاقزام السبعة).

حصل ديزني خلال حياته على جائزة الأوسكار مرات عديدة. وكان قد عُد أحد عباقرة السينما في العالم منذ أواخر الثلاثينات. وهو يتميز أساساً باحساسه العميق بأهواء الطفولة وافكارها وهواجسها البالغة الخصوصية. وكانت أفلامه تنشد المتعة العائلية، دون ان تخلو من نزعة تجارية. وتتميز أفلامه الكارتونية بالطرافة والحركة السريعة والميل الى الغناء والاستعراض، مع شيء من العنف غير المقبول احياناً. وكان له تأثيره وصداه الواضحان ـ بالرغم ممّا يثار من اعتراضات ونقد على افكاره ومنهجه ـ وتتجلى براعته في تقنية التحريك، وتنظيم عمل الستوديو الخاص به بما فيه من جيش العاملين، وذكائه في ابتداع المشاريع ونزعته العملية التي يعاونه فيها شقيقه الاكبر: روي ـ مدير اعماله.

وكانت لشركته نشاطات متعددة، غير صناعة الافلام الطويلة والقصيرة، الكارتونية والحية، القصصية والتعليمية. . . وتشتمل هذه النشاطات على الانتاج السلعي لدمى الشخصيات ولوازمها، وعلى المطبوعات المصورة، وعلى برامج ومسلسلات

تلفزيونية، منها المسلسلات: (سوامب فوكسي) و(مغامرات زورو) و (دانييل بون)، فضلاً عن حلقات رسوم متحركة بعنوان «عالم ديزني المدهش بالألوان» ومؤخراً، في الثمانينات افتتحت في امريكا قناة تلفزيونية خاصة بشركة ديزني ضمن قنوات «الكيبل التلفزيوني» التي لا يستلمها الا المشتركون.

وقد استمرت ستوديوهات ديزني على نهجه وتخطيطه بعد وفاته. ومن أبرز أفلام الرسوم المتحركة الطويلة المصنوعة فيه: (قطط أرسطو - ١٩٧٥) و (روبين هود - ١٩٧٦) الذي أختير فيه الثعلب لتجسيد شخصية بطل غابات شيروود الشهير، و (المنقذون - ١٩٧٧)، وغيرها.

ومن بين أبرز الأفلام الروائية الطويلة بعد رحيله: فيلم (جزيرة على قمة العالم - ١٩٧٥) من اخراج: روبرت ستيفنس. وهو فيلم ضخم الانتاج عن بعثة مفقودة في القطب الشمالي، مأخوذ عن رواية من تأليف ايان كاميرون بعنوان: المفقودون. من تمثيل: ديفيد هارتمان وجاك ماريون. وفيلم (أحد الديناصورات قد فُقد - ١٩٧٦) اخراج: روبرت ستيفنس ايضاً: عن قصة: سرقة الديناصور الكبرى لديفيد فورست، تمثيل: بيتر أوستينوف وهيلين هايز. وفيلم (هروب من الظلام - ١٩٧٩) اخراج: شارلس جاروت، عن حصان من نوع بوني الصغير، صار عجوزاً وفقد بصره وينبغي اعدامه، فيساعده ثلاثة صغار ويهربون به الى الخلاء. وهو من تمثيل الصغيرين: شلو فرانكس وبينجي بولغار. ومع انتشار موجة افلام الفضاء والخيال العلمي

صنع ستوديو ديزني فيلماً كبير التكاليف يحمل اسم ظاهرة كونية عنواناً له: (الثقب الأسود - ١٩٧٩) من اخراج: غاري نيلسون، وتمثيل نجوم معروفين منهم: انطوني بيركنز وايرنست بورغانين وماكسمليان شيل وايفيت ميمو. وفي الاتجاه نفسه كان فيلم (رجل الفضاء يقابل الملك آرثر - ١٩٧٩).

أمّا أحدث الافلام الروائية الطويلة من انتاج ستوديوهات ديزني فهو فيلم (العودة الى أوز - ١٩٨٥) من اخراج: والترمورش، وتمثيل الصغيرة: فيروزة بالك. وتقع احداثه في أرض العالم الذي خلقه: فرانك باوم (١٨٥٦ - ١٩١٩). وكان باوم قد نشر عدداً من القصص عن بلاد أوز المتخيلة هذه، ثمّ انشأ في عام ١٩٠٠ شركة سينمائية خاصة صنعت عدداً من الافلام منها فيلم (بلاد أوز الرائعة - ١٩١٠) واضطر بعد ذلك الى بيع حقوق قصصه وأفلامه. واشتهر في الثلاثينات الفيلم الاستعراضي الغنائي الطويل: (عرّاف أوز - ١٩٣٩) من اخراج: فيكتور فليمنغ، وبطولة: جودي جارلاند. وقد صار هذا الفيلم واحداً من كلاسيكيات السينما. وتحمّس ديزني لصناعة فيلم روائي طويل عن بلاد أوز، واشترى حقوق معظم القصص المنشورة عنها، ، ولكنه لم يكن راضياً عن السيناريو الذي قُدم له في عام ١٩٥٧، فضلاً عن عودة انتشار ذلك الفيلم الثلاثيني بفضل اعادة عرضه في التلفزيون. وتحقّق اخيراً (في عام ١٩٨٥) انجاز مشروع ديزني ذاك، في فيلم يحمل رؤية خاصة جديدة تخاطب الروح

الطفولية ، وتعيد الحياة الى شخصيات ذلك العالم مع عودة الصغيرة دوروثي من أجل انقاذ «الفزاعة» ورجل الصفيح : تيك توك ، والأسد الجبان من سطوة الملك الحجري الرهيب «نوم» مع شخصيات أخرى مثل : الدجاجة المهذارة «بيلينا» والمخلوق الغريب : «غومب» .

■ مهرجانات سينمائية لأفلام الصغار

يتوزّع، في عواصم العالم ومدنه، مايزيد على مئتي مهرجان سينمائي، دوريّ وسنوي، بينها التنافسي الذي يمنح جوائز مختلفة وغير التنافسي الذي يكتفي بالعروض والتثقيف وتوفير فرص تبادل الافلام والاطلاع عليها دون أن يهتم بتوزيع الجوائز والمكافآت.

ولأفلام الصغار نصيبها في هذه المهرجانات، ومنها مايقصر نشاطه عليها، أو يكتفي بمنحها جوانب من فعالياته وأنشطته.

وفيما يأتي لائحة بما استطعت الاهتداء اليه من اسماء هذه المهرجانات السينمائية التي تهتم بأفلام الصغار، بشكل رئيسي أو ثانوي. وقد فضّلت أن أستعرضها في أربعة حقول:

أوّلها: مهرجانات مخصّصة لأفلام الصغار، وثانيها: مهرجانات فيها حقول وجوائز لهذه الأفلام ضمن اهتمامات أخرى، وثالثها: مهرجانات متخصصة في افلام التحريك ـ من أفلام الرسوم المتحركة والدمى وسبل التحريك الاخرى، ورابعها: مهرجانات تشترك فيها أفلام للصغار ضمن اهتمامها عموماً بالأفلام القصيرة والتعليمية وأفلام التحريك وما الى ذلك.

وقد حرصتُ على ترتيب المهرجانات المذكورة ضمن كلّ حقل من هذه الحقول الاربعة وفق الترتيب الهجائي لأسمائها،

وهي ـ في الغالب ـ اسماء المدن التي تقام فيها .

■ أوّلاً : مهرجانات مخصصة لأفلام الصغار .

في مدينة خيخونة ، في اسبانيا ، مهرجان عالمي لأفلام الصغار ، وهو مهرجان تنافسي يمنح جوائز ، وكان قد عقد دورته الحادية عشرة في عام ١٩٧٥ .

وفي دلهي ، في الهند ، كان هناك مهرجان عالمي لأفلام الصغار ، في سنة ١٩٧٤ . ولست أعرف مدى امكانية مواصلته لفعالياته .

وفي ساليرنو ، بايطاليا ، مهرجان عالمي لأفلام الاطفال ، وفيه جوائز ، ولعلّه بدأ عام ١٩٧٤ .

■ثانياً : مهرجانات فيها حقول لأفلام الصغار .

هناك مهرجان بلغراد ، في يوغسلافيا ، وهو مهرجان سنوي عالمي تنافسي ، بدأ عام ١٩٧١ ، وينعقد في شباط من كل عام . وفيه حقل لأفلام الصغار الى جانب حقوله التنافسية الاخرى : (افلام طويلة وقصيرة ـ أفلام الشباب ـ الأفلام الطليعيّة) .

ومهرجان تامبيرا ، في فنلندا ، وهو خاص بالافلام القصيرة . تنافسي عالمي سنوي . وفيه جوائز لأفلام الصغار الى جانب جوائزه الاخرى في مجالات الافلام الوثائقية ، وأفلام التحريك وأفلام الرياضة .

وفي مهرجان دينفر ، في كولورادو بأمريكا ، تشترك مختلف انواع الافلام . وفيها أفلام الصغار ، الى جانب : الافلام الروائية ،

وافـلام الكـارتـون ، والافـلام الطليعية ، وافلام التوثيق ، والافلام القصيرة . وهو مهرجان بدون منافسات ولايمنح أية جوائز .

وفي مهـرجان موسكو السينمائي ، الذي ينعقد مرة كلّ سنتين ، وقـد عقـد هذا العـام (١٩٨٥) دورتـه الـرابعة عشرة تحت شعاره التقليـدي : من أجـل السلم والصـداقة بين الشعوب ـ هناك حقل خاص لافـلام الصغـار له جوائـزه ، الى جانب مسابقتي الافلام الطويلة والقصيرة .

■ثالثاً : مهرجانات أفلام التحريك .

وبـالـرغم من ادراكنـا أن أفلام التحريك المختلفة لاتخاطب الصغـار دائمـاً ، وبخاصة تلك التي تشترك في المهرجانات الفنية والسينمائية ، ذلك أنها تتصف غالباً باهتمامات فنية وفكرية خاصة وجـريئـة . . . فانّ من الضـروري الاشـارة اليها هنا مادامت نسبة كبيرة من أفلام التحريك تُصنع للصغار أساساً ، ويصل الجيّد منها ـ بالتأكيـد ـ الى المنـافسـات الفيلميـة في مثـل هذه المهرجانات السينمائية العالمية .

في أنيسي ، في شمـال فرنسـا ، مهـرجـان سنـوي لأفـلام التحـريك ، بلغ الآن سنته العشرين ، تلتقي فيه أفلام من مختلف انحـاء العـالم . وهو مهرجان تنافسي ، وللتجريب فيه نصيب كبير يستأثر باهتمام روّاده وصانعي أفلامه .

وفي أوتـاوا ، في كنـدا ، مهرجان لافلام التحريك يعقد مرّة كلّ سنتين . وهو مهرجان تنافسي يمنح جوائز .

ومهرجان تورنيه العالمي لأفلام التحريك، في سان فرانسيسكو ـ كاليفورنيا ـ امريكا. وهو خاص بأفلام التحريك القصيرة، تشرف عليه جمعيات سينمائية في هوليوود وكندا، وتنتظم فيه العديد من متاحف السينما. وهو مهرجان تنافسي.

وفي زغرب، في يوغسلافيا، مهرجان لأفلام التحريك يحمل اسمها، يعقد مرة كل سنتين. وبالرغم من أنّه يكاد يقتصر على أفلام التحريك المصنوعة في يوغسلافيا نفسها فانّه مهرجان ذو سمعة عالمية مرموقة. يمنح المهرجان جوائز. وقد بدأ عام ١٩٧٣.

وفي فارنا، في بلغاريا، مهرجان عالمي لأفلام الرسوم المتحركة. ويبدو أنّ موعد انعقاده لم ينتظم بعد، على أنّه يعقد هذا العام (١٩٨٥) دورته الرابعة. والمهرجان تنافسي.

■ رابعاً: مهرجانات أخرى.

لانعدم أن نعثر على أفلام للصغار في تلك المهرجانات التي تهتم بالافلام الوثائقية والتسجيلية والتعليمية والقصيرة وما الى ذلك. مهرجانات مثل: اوبرهاوزن في ألمانيا الاتحادية، ومهرجان أفلام الحكايات في أورنيس في الدانيمارك، ومهرجان أفلام الشباب في بروكسيل في بلجيكا، ومهرجان الافلام الفانتازية وأفلام الخيال العلمي في تريست بايطاليا، ومهرجان كارلو فيفاري في تشيكوسلوفاكيا، وكورك في ايرلندا ـ الذي يهتم بالافلام ذات الطابع التربوي والعائلي والصداقي ـ ولا يبزغ في

المانيا الديمقراطية، وغرينوبل في فرنسا . . . وغيرها .

ومن الملاحظ، مثلاً، أن مهرجان افلام الحكايات في أورنيس في الدانيمارك يضمّ حقولاً متعددة، ولكن الجوائز فيه تقتصر على المنافسة بين الرسوم المتحركة والدمى فقط . وكذلك الحال في مهرجان سالونيك في اليونان . وأن الحلقة الدراسية على هامش مهرجان سيدني في استراليا، في دورته لعام ١٩٨٠، كانت عن افلام الأطفال . . .

■ الصغار والسينما . . . دراسات وشهادات .

ولابدّ هنا من كلمة قصيرة عن أثر السينما في تشكيل وعي الصغار ووجدانهم . فالصغار - بدورهم - جزء من جمهور السينما في هذا العالم الواسع ، يتعلقون بها ، ويتابعون سحرها ، ويتأثرون بما يشاهدونه على شاشتها . وهم اكثر من غيرهم تأثيراً بها . وقد خضع هذا الجانب لدراسات وبحوث ميدانية واحصائية وتحليلية عديدة . على ان ما نشر من هذه البحوث في اللغة العربية ، مترجماً أو موضوعاً ، يبقى قليلاً للغاية .

في كتاب (الفيلم والجمهور) للباحث السينمائي البريطاني المعروف : روجر مانفيل (ترجمة : برلنتي منصور - وزارة الثقافة والارشاد القومي - القاهرة - دون تاريخ) فصل خاص بعنوان «السينما والمجتمع» . وفيه فقرة تحمل عنوان : «الاطفال والسينما» (ص ١٤٥ - ١٤٩) . والكتاب مطبوع في مصر في أوائل الستينات ، والأصل منشور في عام ١٩٥٤ (بدلالة ما جاء في ص ١٠٠) .

وقد أشار روجر مانفيل الى «أن سحر الافلام على الاطفال موضوع دائم للتعقيب ، فان من الطبيعي أن تلقى الصورة المتحركة من الطفل اعجاباً يفوق ميله للقصة التي تقتصر حكايتها

على كلمات فقط» (ص ١٤٥).

واستعرض روجر مانفيل تجربة (ماري فيلد) في التعامل مع الاطفال وصناعة افلامهم، وكانت قد فصّلت الحديث فيها في كتابها «الصحبة الطيبة» - وهو غير مترجم الى العربية - وقد كانت ماري فيلد هذه على رأس «مؤسسة أفلام الاطفال». وهي مؤسسة بريطانية انيطت بها، منذ عام ١٩٥١ ولعدة سنوات تالية، مهمة انتاج افلام للأطفال، وكانت تعتمد على منحة مالية سنوية خاصة تقدّمها مؤسسة السينما البريطانية.

تقول ماري فيلد - والنقل هنا عن روجر مانفيلد في كتابه: الفيلم والجمهور - : «لقد تعلمنا بالتدريج، بعد مشاهدتنا لمئات من المجاميع، أن نفهم، لمعلوماتنا الخاصة، حركات وأصوات الأطفال . . .» (ص ١٤٦) والمقصود نوع استجابتهم للأفلام المعروضة أمامهم.

« . . . ولقد وجدْت أن أطفال ما بين سن السابعة والثانية عشرة يريدون أن يلائموا أنفسهم مع الاطفال الذين يظهرون على الشاشة . . . وهم لا يريدون كثرة الحوار، كما انهم يكرهون الحركة التي تتطور سريعاً جدّاً بحيث لا يستطيعون أن يتتبعونها بعناية . . وهم لا يريدون أن يروا شخصياتهم المحببة اليهم في خطر، أو أنْ يظهر عليها أي نوع من الخوف الحقيقي . . . والاطفال يرون الكبار على طريقتهم الخاصة لا على طريقتنا . . ولكيما يحقق الاطفال لأنفسهم ذلك الشعور بالأمن الذي يتوقون اليه فانهم يحبون التفكير في عالم مقسم الى الخير

الـذي ينتصـر في النهـايـة والى الشر الذي يخسر تبعاً لذلك، ومن علامـات المـراهقـة أن يبـدأ الطفـل في التبـرّم من أن الاخيارهم الذين ينتصرون دائماً. . .» (ص ١٤٧ ـ ١٤٨).

ولقـد أشـار روجـر مانفيل الى أنّ ماري فيلد قد كونّت فريقاً من صنـاع الفيلم لديهم استعـداد طبيعي لهـذا النوع من العمل الذي يضمن خلق قصص مبتكـرة للأفـلام، اذ أنّ القليـل من قصص الاطفال الكلاسيكية في الأدب يصلح للشاشة. وللأطفال نظرات خاصة بالنسبة لشخصيات الكبار التي تمثل في الأفلام من أجلهم فقط. (ص ١٤٧).

ولاحـظ روجـر مانفيـل أنّ الأخـلاق في أفـلام الاطفـال تمثل مشكلة من مشـاكلهم. . . ولاحـظ أنّ أوائـل الافلام التي انتجتها مؤسسـة «رانـك» البـريطـانيـة للاطفـال كانت ظاهـرة الاتجـاه الاخلاقي التقليدي بشكل مبالغ فيه حتى انها صارت أشبه بخطب الـوعـظ الخلقي. . . (ص ١٤٨) وقـررّ أنّ مشكلة انتاج أفـلام للاطفال لاتزال مشكلة مالية بسبب مردودها المحدود (ص ١٤٨).

ثمّ استعـرض روجـر مانفيل التقرير الذي وضعته لجنة وزارية بريطـانيـة عن الاطفـال والسينما، والمتضمن توضيح الاعتراض على مشاهدة الاطفال لأفلام الكبار (ص ١٤٩).

***

وقد أختار الباحث السينمائي المصري المعروف (عبد المنعم سعد) أن يكون موضوع رسالته الجامعية للماجستير في علم الاجتماع من جامعة القاهرة هو «السينما والشباب». والبحث دراسة في حقل «علم الاجتماع السينمائي» تهتم بدراسة أثر السينما على الشباب باعتبارها أخطر أدوات التعبير الفني، وفي مقدورها أن تشكل وجدان الشباب على النحو الذي تمليه القيم الفكرية التي تحكمها. والبحث مطبوع في القاهرة في كتاب مستقل (السينما والشباب ـ تأليف: عبد المنعم سعد ـ سلسلة كتاب مجلة الاذاعة والتلفزيون ـ رقم: ٢١ ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ ـ في ٢٤٤ صفحة).

وعماد هذا الكتاب هي دراسة استبيانية لتأثير السينما في انحراف الشباب في مدينة القاهرة، وخلال استعراضه للدراسات المنشورة في موضوع أثر السينما في الشباب وانحرافه، أشار الى الدراسات الخاصة بتأثيرها في الصغار، دون سن المراهقة.

وقد جاء فيه: «لعل أول دراسة تناولت هذا الموضوع هي تلك التي نشرها عام ١٩٣٠ هنري فورمان في الولايات المتحدة في كتاب بعنوان «السينما تصنع الأطفال» وهو كتاب يلخص دراسات قام بها بعض الباحثين عن أثر السينما على الاطفال . . .» (ص ١٢٠).

وأشار عبد المنعم سعد الى أنّ هناك في بريطانيا بحثاً أجري عن أثر السينما على الأطفال، وقد تمّ نشره في عام ١٩٥٠ . . .

ومن بين اهم النتائج والتوصيات التي توصل اليها البحث المذكور: وجوب النظر الى عملية تصنيف الافلام الى ما يصلح للصغار بمفردهم أو مع أهلهم) كشيء مختلف أساساً عن الرقابة، وأن ينظر اليها باعتبارها عملية مختصة مطلوبة من اجل الاهتمام بالاطفال. ويجب ان تقوم عملية تصنيف الافلام على أيدي شخصيات مختصة وممتازة في علم نفس الطفل، بارعين في نقد الافلام، مجرّبين لمتطلبات الاطفال وردود الفعل التي قد تصيبهم. ووجوب تشكيل لجنة محلية لسينما الاطفال في الاماكن التي يوجد فيها عرض سينمائي للاطفال، ويُختار اعضاؤها من بين الاشخاص المهتمين بالمصلحة العامة للطفل، وكذلك بالسينما وأن تركز اللجنة المركزية لسينما الاطفال على اختيار الافلام المناسبة لعرضها في سينما الاطفال. ويجب أن يشجع التعاون مع صناعة السينما من أجل دفع عملية انتاج أفلام الاطفال وتوزيعها على نطاق واسع (ص ١٢٣ ـ ١٢٤).

* * *

ونشرت فريال كامل مقالاً بعنوان «نحو عروض سينمائية للأطفال» في العدد الخاص بموضوع: السينما والشباب من مجلة «الهلال» القاهرة (عدد: يناير، كانون الثاني ـ ١٩٦٩ ـ ص: ٨٨ ـ ٩٥). وفيه دراسة تطبيقية لافلام الموسم الأوّل لعروض الاطفال بدار سينما أوبرا في القاهرة من تنظيم وزارة الثقافة لعام ١٩٦٨ تمهيداً للافادة منها في عروض الموسم التالي

المخصّص لعام ١٩٦٩ . وقد أشارت فريال كامل في صدر المقال الى أنّ القاهرة قد عرفت العروض السينمائية للاطفال في أوائل الخمسينات عندما نظمت شركة مترو عروضاً خاصة للاطفال في صالتها، لقيت اقبالاً وحماساً - بالرغم من كون موضوعاتها وأفكارها مكررّة - لانها كانت العروض الوحيدة المنتظمة للاطفال دون منافس. ثمّ نظم المركز الكاثوليكي بعض العروض المماثلة وكان أغلبها مستعاراً من مكتبة شركة مترو ايضاً. وقد ختمت الباحثة مقالها التطبيقي التحليلي للافلام المعروضة في ذلك الموسم بالدعوة الى انتاج أفلام قومية تنتج محلياً لتناسب المناخ النفسي والاجتماعي للطفل العربي.

وفي بغداد، نشرت مجلة «المسرح والسينما - الملحق الشهري لمجلة: الاذاعة والتلفزيون» في عددها الثالث عشر، الصادر في: كانون الثاني ١٩٧٥، ملفاً خاصاً بموضوع «المسرح والسينما والاطفال» ويهمّنا في هذا الملف ثلاث دراسات: أولاها: بعنوان «الاطفال كمشاهدين لمسرح وسينما الطفل» من اعداد: يعقوب الشاروني (ص ٣ - ١٢). وهو في الاصل دراسة قدمّها الباحث الى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب في القاهرة ضمن حلقة دراسية لبحث سينما ومسرح الطفل عقدت بتاريخ ١٧ - ٢٠ حزيران ١٩٧٤ في القاهرة والثانية: مقالة بقلم لواء عبد الامير المحاويلي بعنوان: «سينما الاطفال.. متى تبدأ؟» فيه ملاحظات ومعلومات ومقترحات (ص ١٦ - ١٩).

والثالثة: مقالة نقدية تطبيقية بقلم: سهيل سامي نادر عن: «العيد

والاطفال والافلام» (ص ٣٠ ـ ٣٣).

وفي العدد الذي سبقه، من المجلة نفسها (المسرح والسينما ـ الملحق الشهري لمجلة: الاذاعة والتلفزيون ـ بغداد ـ العدد: ١٢ ـ في تشرين الأول ١٩٧٤) دراسة قيمة بقلم: عامر مزهر، في موضوع «الافلام المتحركة والطريق الى انتاجها في العراق (ص ٨ ـ ٢٨) وهو يقع في قسمين: أولهما مراحل نمو وتطور الأفلام المتحركة في العالم، وثانيهما: الطريق لانتاج أفلام الدمى في العراق، وفيه دراسة تطبيقية لسبل ولوازم وتقنيات صناعة أفلام وتحريك الدمى مع مراعاة توفرّ هذه العناصر الأساسية المقصودة في العراق.

الصغار وأفلامهم في السينما العربية»



مارك ليستر في

(أوليفر - ١٩٦٨) اخراج : كارول ريد

لم تلتفت السينما العربية الى الصغار، ولم تحاول أن تصنع عنهم أو من أجلهم، أفـلامـاً روائـيـة طويلة. وبقي هذا الجانب فيها قاصراً بشكل مخجل.

حدث هذا بالرغم من العمر الطويل للسينما العربية (يُعد عام ١٩٢٧ البدايـة الـرسميـة للسينما المصرية)، وبالرغم من وجود تجارب لاشـراف الـدولـة على صنـاعـة السينما في أكثر من قطر عربي يمتلك نتاجاً سينمائياً فعلياً، في مصر والعراق وسوريا والجزائر.

فالى جانب النشاط الغـزيـر للسينمـا المصرية كان هناك دور مهم للقطاع العام فيها (بدأ عام ١٩٥٧ وأثمرت نتائجه الفعلية عام ١٩٦٣ وانتهى عملياً منذ عام ١٩٧١). وكانت السينما في الجزائر تحت الاشـراف الكـامـل للدولة منذ الاستقلال. وفي سوريا كان نشاط مؤسسة السينما متزامناً مع نشاط القطاع الخاص هناك، منذ عام ١٩٦٣ . وفي العراق تأسست مصلحة السينما والمسرح عام ١٩٥٩، ثمّ تطـورت الى مؤسسـة عامة للسينما والمسرح ما لبثت ان أستأثرت بصناعة السينما تماماً منذ منتصف السبعينات.

ولانستطيع أن نعثر في السينما العربية، في مختلف أقطارها، على أفـلام مصنـوعة للصغار. أما مساهمات الصغار في السينما، وبخـاصـة في السينمـا المصـريـة، فانها لاتختلف عن الظهـور التكميلي الشـائع ضمن سياق الحبكات القصصية المختلفة، مع اهتمـام احيانـاً بعددٍ من النجوم الصغار والمواهب الصغيرة - اسوة بمـا شاع في السينمـا الامـريكيـة - الى حد صنـاعـة بعض

الموضوعات والشخصيات خصيصاً بهدف الافادة من وجودهم.

وتتوزع أسباب ذلك بين الاهداف التجارية المرجوة من صناعة الافلام، ونوع الموضوعات التي يهتم بها صانعوها، ودرجة وعي صانعي الأفلام بضرورة صناعة الافلام للصغار وأهمية ذلك، ومشكلات العثور على صغار موهوبين وطريقة ادارتهم. . . وقبل هذا وذاك: مدى قيام صناعة السينما على تخطيط مدروس بعيد المدى متكامل الجوانب.

وعندما نراجع أدوار الصغار في الأفلام العربية نراها محصورة في نطاق خلق مواقف ظريفة، أو استثارة الشفقة والتعاطف. واذا ما طال حجم أدوراهم فانّها لن تتعدّى مجموعة المشاغبات والتعليقات اللاذعة في أفلام مثل (((أم العروسة - ١٩٦٣) من اخراج: عاطف سالم، وتمثيل: تحية كاريوكا وعماد حمدي وسميرة أحمد وحسن يوسف، عن قصة: عبد الحميد جودت السحار، حول العائلة التي تنوء بمتطلبات تزويج كبرى بناتها واعالة العدد الكبير من صغارها. ومثل فيلم (عالم عيال عيال - ١٩٧٦) من اخراج: محمد عبد العزيز وتمثيل: رشدي اباظة وسميرة أحمد، من خلال المشكلات المتراكمة بسبب زواج شخصين لكلّ منهما اكثر من خمسة ابناء صغار من زوج سابق.

وعندما صنع كمال الشيخ فيلمه (الشيطان الصغير - ١٩٦٣) كانت في ذهنه تجارب سينمائية امريكية معيّنة. فقد وضع الفكرة بنفسه بالتعاون مع السيناريست: صبري عزت. وهو فيلم مغامرات بوليسية عن ولد صغير شاءت المصادفة أنْ تجعله

الشاهد الوحيد لجريمة قتل. وتتلاحق أحداث الفيلم خلال عدة ساعات، ويكشف ذلك الصغير عن شجاعة وذكاء. ومن الواضح أنّه موضوع مصنوع للكبار وليس للصغار. وكان الفيلم من بطولة الصغير: محمد يحيى، الى جانب: سميرة أحمد وكمال الشناوي.

ولا بأس بمراجعة نماذج من النجوم الصغار في السينما العربية، بهدف التعّرف على نوع الادوار التي ظهروا فيها، ومعرفة ماصاروا عليه في مستقبل حياتهم.

هناك (سمير لاما) الذي ظهر في أفلام والده المخرج (ابراهيم لاما) الى جانب عمّه الممثل: بدر لاما - وكانا يصنعان افلام المغامرات الرومانسية في السينما المصرية على نسق أدوار رودرلف فالنتينو ودوغلاس فيربانكس في السينما الامريكية. ومن الافلام التي ظهر فيها: (الكنز المفقود) المقتبس عن فكرة انتقام الكونت دي مونت كريستو. وكان في ثانيهما صبياً ذكياً ظريفاً يسهم في انقاذ بطل الفيلم من المآزق. وبعد وفاة بدر لاما عام ١٩٤٧ صار بطل خمسة من أفلام والده - وكان قد أصبح شاباً وسيماً - وبعد انتحار والده عام ١٩٥٣ اشترك سمير لاما في بطولة عددٍ من أفلام المغامرات، نفّذ بعضها في لبنان. ثمّ اعتزل السينما نهائياً، ورحل مهاجراً عن الاقطار العربية.

وكانت فاتن حمامة طفلة موهوبة لفتت اليها الانظار عندما ظهرت، في عمر ثماني سنوات، الى جانب محمد عبد الوهاب في فيلم (يوم سعيد - ١٩٤٠) من اخراج: محمد كريم. وابتعدت

عن السينما أربع سنوات، لتعود في سنّ الثانية عشرة مع عبد الوهاب ومحمد كريم ايضاً في فيلم (رصاصة في القلب ـ ١٩٤٤). ومنذ ذلك الحين استمرت في عالم السينما. وكان محمد كريم قد صرّح مرّة بأنه قد اعتبرها موهبة ناجحة مثل الطفلة الامريكية: شيرلي تمبل، نجمة هوليوود في منتصف الثلاثينات، وأن موهبتها قد دفعته الى زيادة حجم دورها وحوارها في فيلم: يوم سعيد.

ومع تصاعد موجة الافلام الاستعراضية، تأثراً ـ في بعض جوانبها ـ بما انتشر في السينما الامريكية، ارتفع نجم الفنانات الصغيرات: فيروز، وشقيقتها الصغيرة: نيللي، وابنة خالتهما: لبلبة، تمثيلاً ورقصاً وغناءً في عددٍ من الافلام، أشهرها فيلم (دهب» من اخراج وتمثيل: أنور وجدي، وبطولة «فيروز» في دور الصغيرة التي ضاعت عن والديها فرعاها فنان السيرك ودرّبها على الغناء والرقص. وعندما كبرت فيروز تركت عالم السينما وانصرفت الى مهنة الازياء. أمّا نيللي فقد صارت ممثلة ونجمة استعراضات شهيرة. وبقيت لبلبة في عالم التمثيل والاستعراض ولكنها دون نيللي شهرة ومنزلة.

وهناك ممثلون صغار آخرون استمروا في عالم التمثيل بعد أن تجاوزوا سنوات الطفولة ومنهم: صفاء ابو السعود، وليلى حمادة، ومحسن محيي الدين، وغيرهم.

وقد اختار بعضهم مهنة سينمائية أخرى غير التمثيل فيما بعد.

ومن هؤلاء اسماعيل، نجل الفنان الكوميدي: اسماعيل ياسين. فقد كان والده يعدّه للتمثيل، وأشركه معه في عددٍ من أفلامه أهمَها: (اسماعيل ياسين بوليس حربي). ولكنّه اختار أن يكون مخرجاً سينمائياً شاهدنا هنا بعض افلامه. ومثله نادر جلال، ابن المخرج والممثل: أحمد جلال والممثلة: ماريني كويني، فقد أختار الاخراج السينمائي ايضاً. وكذلك الصغير الموهوب أحمد يحيي، ومن أدواره دور الشقيق الأصغر لعبد الحليم حافظ في فيلم (حكاية حب ـ ١٩٥٩)، فقد صار مخرجاً سينمائياً غزير الانتاج.

ومن أحدث نماذج الصغار الموهوبين، طفلة من مصر وأخرى من لبنان.

فقد لفتت الطفلة ليزا (اليزابيث) اليها الانظار في دورها في المسلسل التلفزيوني «هند والدكتور نعمان» الى جانب: كمال الشناوي. وكانت ليزا قد ظهرت قبل ذلك في فيلم (الطيب أفندي ـ ١٩٨٣) من اخراج: أحمد السبعاوي، وتمثيل: يونس شلبي وصفية العمري. وهذا الفيلم معروض عندنا، ولم يكن دورها فيه ممّا يلفت الانتباه، وبعد نجاح المسلسل بدأت السينما تهتم بها، فأسند اليها المخرج د. هشام أبو النصر دوراً مهماً في رابع أفلامه(ليلى والمجهول ـ ١٩٨٥) الى جانب: سماح أنور والهام شاهين وعبد المنعم ابراهيم. وقصته عن أسرة فيها سبع فتيات تفقد معيلها.

امّا الصغيرة (ري مي بندلي) من لبنان فقد لفتت اليها الانظار

بظهورها تغني في برنامج «شانزليه» في التلفزيون الفرنسي وأسند اليها المخرج اللبناني: سمير خوري الدور الرئيسي في فيلمه (أماني تحت قوس قزح ـ ١٩٨٤)، وهي في عمر خمس سنوات. وقد أراده فيلماً عن أحداث لبنانية الحالية، ولكنه سقط في التبسيط والتسطيح والميلودراما. فهي تمثل وتغني في دور الصغيرة «لله أماني» التي ماتت والدتها وفقدها والدها كما فقد ذراعه وساقيه عندما تهدم منزلهم اثناء القصف. ويأتي من يأخذها الى منزل ثري كبير يرعى ايتام حرب لبنان بسبب حرمانه من الاطفال. وفيما بين الطرائف والاغنيات والدموع تمضي أحداث الفيلم الذي بقي قاصراً تماماً عن التعبير عن التمزيق الذي أصاب لبنان.

* * *

وممّا يرتبط بسينما الصغار تلك المحاولات المتواضعة لصناعة أفلام رسوم متحركة وأفلام تحريك في السينما العربية مع ادراكنا انّها لم تكن موجهة دوماً لأجل الصغار، أو مصنوعة لمخاطبتهم.

والتجربة الاكثر غنىً في هذا المجال هي التجربة المصرية[٣] ففي نهاية الثلاثينات ظهرت أفلام رسوم متحركة قصيرة (بعناوين: مفيش فايدة، ومشمش افندي، وبالهنا والشفا، وغيرها) نفذّها الاخوة فرانكل، وهم ثلاثة شبان كانوا يساعدون والدهم في الرسوم وتنفيذ التحريك ووضع الموسيقى والمؤثرات الصوتية والاخراج.

وفي اوائـل الاربعينـات صنع الشاب المصري : انطوان سليم محـاولات ناجحة في مجال أفلام الرسوم المتحركة ، ثمّ اعترضته صعـوبـات التمـويـل فاكتفى بتـوجيـه نشـاطـه الى افلام الدعاية والاعلان للسلع التجارية .

ثمّ توفـرت منـذ أواخر الخمسينات ، معدات التصوير الخاصة بافـلام التحـريـك ولـوازمهـا ، في ستـوديـوهـات القطاعين العام والخـاص وستـوديـوهـات التلفـزيـون ، وبـرزت مواهب في هذا المجـال ، وصـرنـا نتـابـع اسمـاء : مهليب (همـا الاخوان : علي وحسـام) ، وحسيب ونـوال (وقـد صار حسيب مخـرجـاً سينمـائيـاً مؤخـراً) ، وعبـد العليم (صـاحب الستـوديـو المعروف بأسمه) ، وفهمي عبـد الحميـد (الذي اشتهر باخراجه للفوازير) وغيرهم . على أنّ معظم أعمالهم هي تصميم مقدمّات الافلام ، والاعلانات التجـارية ، والمشاهد القصيرة ذات الاهداف الخاصة . ولم يكن بينهـا الاّ القليـل من أفـلام الرسوم المتحركة القصصية القصيرة ، وطائفة ضئيلة من هذا القليل كان مصنوعاً للصغار .

وكان هؤلاء ، وغيرهم قد ظهروا وتدربوا من خلال وحدة أفلام الـرسـوم المتحركة (١٩٦٨) في المركز القومي للأفلام التسجيلية (١٩٦٧) . وكـان المـركـز قد استخـدم الخبير التشيكي : فلادمير ليهكي لتدريب الفنانين المصريين على العمل في فن الرسوم المتحركة .

ومن الواضح أنّ الفنانين المصريين هؤلاء هم الأمل الحقيقي في صناعة أفلام رسوم متحركة وأفلام تحريك ، للصغار والكبار ،

ولكنّ ظروف الصناعة لم تسمح لهم بعد بتوظيف امكانياتهم على الوجه المطلوب.

ولا بأس بالتنويه بمقاطع الرسوم المتحركة القصيرة، ذات الاهداف التربوية، التي صنعها فنانون عرب، مثل نبيل وحمد وغيرهما، في الحلقات التلفزيونية: «افتح يا سمسم» و «سلامتك» و «قف» وغيرها، ممّا جرى تطعيم الحلقات بها الى جانب المقاطع المقتبسة من الفنانين غير العرب.

على أنّ فيلم الرسوم المتحركة العربي الروائي الطويل الوحيد جاء من «المركز العربي لأفلام التحريك» في المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون في الجمهورية العراقية. ومع ذلك فاننا لانستطيع أنْ نعده عملاً عربياً ما دام قد أ نجز بخبرات غير عربية، وفي ستوديوهات خارج الوطن العربي. ولايكفي التمويل، والاشراف العام، والدوبلاج بأصوات ممثلين عرب، كي يكون العمل محلياً.

في ٦/ ١/ ١٩٨٣ كان العرض السينمائي الأوّل لفيلم الرسوم المتحركة الطويل المصنوع للصغار: «الاميرة والنهر» المعالجة السينمائية والحوار والاشراف العام: فيصل الياسري اخراج: باول مكادم. سيناريو: جون بالمر. موسيقى: ريشارد بودوين. التنفيذ في أحد الستوديوهات الاسترالية للرسوم المتحركة. وكان ممّن اشترك في دوبلاج أصوات الشخصيات بالعربية: سعد أردش واسامة الروماني وعلي المفيدي وخليل الرفاعي ولينا الباتع ونور الهدى صبري وغيرهم.

وتـدور قصـة الفيلم حول اختبـار تمرّ به بنات ملك لكش الثلاث، في بلاد ما بين النهرين، كي تكون احداهن ملكة، وفي الاختبار هناك الحصـول على تفـاحـة اليـاقوت الأحمر، وعبور النهـر، ومـواجهـة التنين. وسـوف تفشـل الكبـرى والوسطى في الاختبـار لتفـوز صغراهن كما هو الحال في الحكايات المماثلة. وهناك ايضاً الخطر الذي يتهدّد المملكة من دولة عيلام المجاورة وملكها الشرير.

وممّـا لاشـك فيـه ان فكرة ايصال تاريخنا الى أذهان الصغار، باسلوب قصصي، من خلال فن الـرسـوم المتحـركة، فكرة جيدة ومطلوبة. ولكنّ هناك اعتراضات تثار على بناء الحكاية، وبعض تفـاصيلهـا، وعلى اسلوب التنفيـذ. ولم يكن نمـط عمـل ذلـك الستـوديـو الاسـترالي بالنمـط الجـذّاب في الـرسـوم والتحـريك والتصميم. كمـا لم يكن الاشـراف على عملهم كافيـاً للتعبير عن الملامح المحلية. فقد رُسمت النخيل، مثلاً، أشبه بأشجار جوز الهنـد باشكـالها المتداولة في أفلام الرسوم المتحركة الامريكية. ولم تتم الاستعـانـة برسـامين عرب يمـدون الفنـانين الأجـانب بالملاحظات والتوجيه. وحتى الموسيقى التصويرية لم تسند الى موسيقيين عرب.

***

ولابد، أخيراً، من كلمة قصيرة عن تجربة العروض السينمائية المخصصة للصغار.

وقد أشرنا، فيما سبق، الى تقويم تجربة عروض افلام الصغار في سينما مترو في القاهرة بوجهيها الرسمي وغير الرسمي.

وفي بغداد، بدأت في العام الماضي تجربة تخصيص عروض للصغار في صالة الفانوس السحري في المنصور. وهي تجربة ضرورية ينبغي استمرارها، مع ملاحظة وجود مؤخذات في احيان كثيرة على اختيار الافلام المعروضة فيها. فلقد تسربت الى عروضها افلام مغامرات طريفة وحركة سريعة، من نوع (الشرطي وطفل الفضاء) من تمثيل: بود سبنسر، وتلك الافلام القادمة من جنوب شرق آسيا، مثل: (المستربو) و (الايام الضاحكة) و (الراكب المقنع) وغيرها، ومن الواضح أنّ أفلاماً من هذا النمط ليست مما يعد أفلاماً للصغار على الاطلاق، وهذا يعني ان الاختيار لايقوم دائماً على اسس سليمة كما أن الاختيار يكاد يقتصر على المتوفر من أفلامٍ في الاسواق دون اتخاذ خطوة جادة نحو استيراد أفلام مختارة مخصصة لرفد هذا النوع من العروض.

وهناك منفذ آخر قيّم لتقديم أفلام الصغار يتمثل في برنامج «سينما الصغار» الذي يعرضه تلفزيون بغداد في عصر ايام الخميس اسبوعياً، منذ أكثر من خمس سنوات. وهو من تقديم: نسرين جورج. وقد استطاع البرنامج تقديم العديد من أفلام الصغار، وكان عدد كبير منها ذا شأن وأهمية. وفيها ما سبق عرضه في دور السينما، وأخرى استطاع التلفزيون توفيرها دون أن تسنح فرصة عرضها في صالات السينما. ومن الواضح ان التلفزيون، من خلال هذا البرنامج وغيره، مجال أساسي ورئيس لتوفير أفلام

الصغـار، الطـويلة والقصيرة، وبمختلف أنواعها. بحكـم طبيعته وأهـدافه. ولايخلو برنامج «سينما الصغار» من مؤخذات. يتصل بعضهـا بمـادة التقـديم الـذي يسبق عرض الافـلام ومـا فيـه من معلومـات وطـريقـة أختلاق الاسئلة ويرتبط البعض الآخر بنوع الافلام المختارة احياناً واضطراره الى اعادة افلام معروضة فيه في احيـان اخـرى بحكم شحـة المتـوفـر منهـا في القطر. ولكن هذا لاينفي أنّـه منفـذ أسـاسي لعروض أفلام الصغار الروائية الطويلة ينبغي دعمه ورفده واستمراره.

■ كلمة أخيرة ■

على امتداد الصفحات الماضية تابعنا سينما الصغار في جوانب من تاريخها وتطوّرها ونجومها وموضوعاتها وشؤون أخرى مرتبطة بها.

وقد انسحب الاهتمام، فيما تناثر من أمثلة ونماذج واستشهادات، الى الافلام التي تخاطب الصغار وتُصنع من أجلهم. وكذلك تلك الأفلام التي تقصد الى مخاطبة الجانب الطفولي الكامن في نفس كلّ شخص بالغ، والذي يختلف فيما بين الناس في درجة استعداده للبروز والطفوّ الى السطح بين وقت وآخر.

ولعلّ السينما العالمية، في كثير من مجالات صناعة الافلام وفرص عرضها، لاتشكو من قلةٍ في صناعة أفلام الصغار والافلام التي تناسبهم، قدر حاجتها الى مزيدٍ من التنويع في الموضوعات والاهتمامات وطرق التناول ومستوى التقنية، فضلاً عن ضرورة زيادة نسبة الانتاج السنوي وانتشاره الى دول أخرى لاتسهم في رفد هذا الجانب من الحقول السينمائية بما يكفيه، وبما هو جدير به، ما دام يرتبط ببناء وعي الأجيال القادمة ووجدانها.

على أنّ السينما في الاقطار العربية، وبضمنها قطرنا العراقي، بحاجة ماسة الى توفير الكثير من فرص عرض أفلام الصغار التي صنعها ـ ويصنعها ـ العالم، أوّلاً، ثمّ البدء بخطوات جادة للسير

في بداية الطريق الطويل لهذا النوع من الانتاج السينمائي. وبخاصة في تلك الاقطار العربية التي يكون للدولة تأثيرها، الكبير أو الصغير، في صناعة السينما فيها، مادامت مشكلات التمويل والاستغناء عن التفكير في الايرادات المجزية الجزيلة هي عقبات اساسية في التخطيط لصناعة هذا النوع من الأفلام.

وتبقى المشكلة الأساسية التي تواجه الصغار، في اقطارنا وفي بلدان العالم، متمثلة فيما يحاصرهم من أفلام تُصنع للكبار - وبعضها لايصلح للصغار على الاطلاق - واحاطتهم بها، شاءوا أم أبوا، من خلال دور العرض وقنوات التلفزيون والاقبية الخاصة لانتشار أشرطة الفديو.

ان الطفل عماد المستقبل. واذا كانت احتمالات المستقبل المستقر السليم غير مضمونة أو متاحة على الدوام فليس أقل من أن نمنحه حقّه في طفولةٍ هانئةٍ بريئةٍ مستقيمةٍ سويّة.

(١) هناك تحليل قيّم للجانب الطفولي في شخصية شارلي شابلن وفنّه، في الفقرة الموسومة «الصبي» في كتاب: شارلي شابلن - لمارسيل مارتين وآخرين - ترجمة واعداد: ابراهيم العريس - دار ابن رشد - بيروت - ١٩٧٩ - ص: ٦١ - ٦٧.
وانظر ايضاً انطباعات المخرج السوفييتي الشهير سيرغي ايزنشتاين عن هذا الجانب في شابلن في مقالته «شارلي الغلام» - راجع: (مذكرات مخرج سينمائي - تأليف: سيرغي ايزنشتاين - ترجمة: أنور المشري - وزارة الثقافة والارشاد القومي - القاهرة - ١٩٦٣ - ص: ٢٧٦.

(٢) تحرص السينما البريطانية، مثلاً على تصنيف الافلام المصنوعة والمعروضة في بريطانيا الى أنواع يرمز اليها بالحروف للاشارة الى ما يصلح منها للعائلة كلّها، وللصغار، وللصغار بشرط صحبة أهلهم، وتلك التي ينبغي ألّا يراها الصغار. وجميع الأفلام ملزمة بتثبيت هذه العلامات في الاعلانات المنشورة عنها وفي ملصقاتها.

(٣) انظر: معجم الفن السينمائي - لأحمد كامل مرسي ومجدي وهبة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٣ - ص ٧٠ من المقدمة.
و: دليل السينما ١٩٧٠ - اصدار: المركز الفني للصور المرئية في وزارة الثقافة - القاهرة ١٩٧٠ - ص: ١١٦ - ١٢١ (بقلم: أحمد رأفت بهجت).

■ المحتويات ■

■ كتب للمؤلف ■

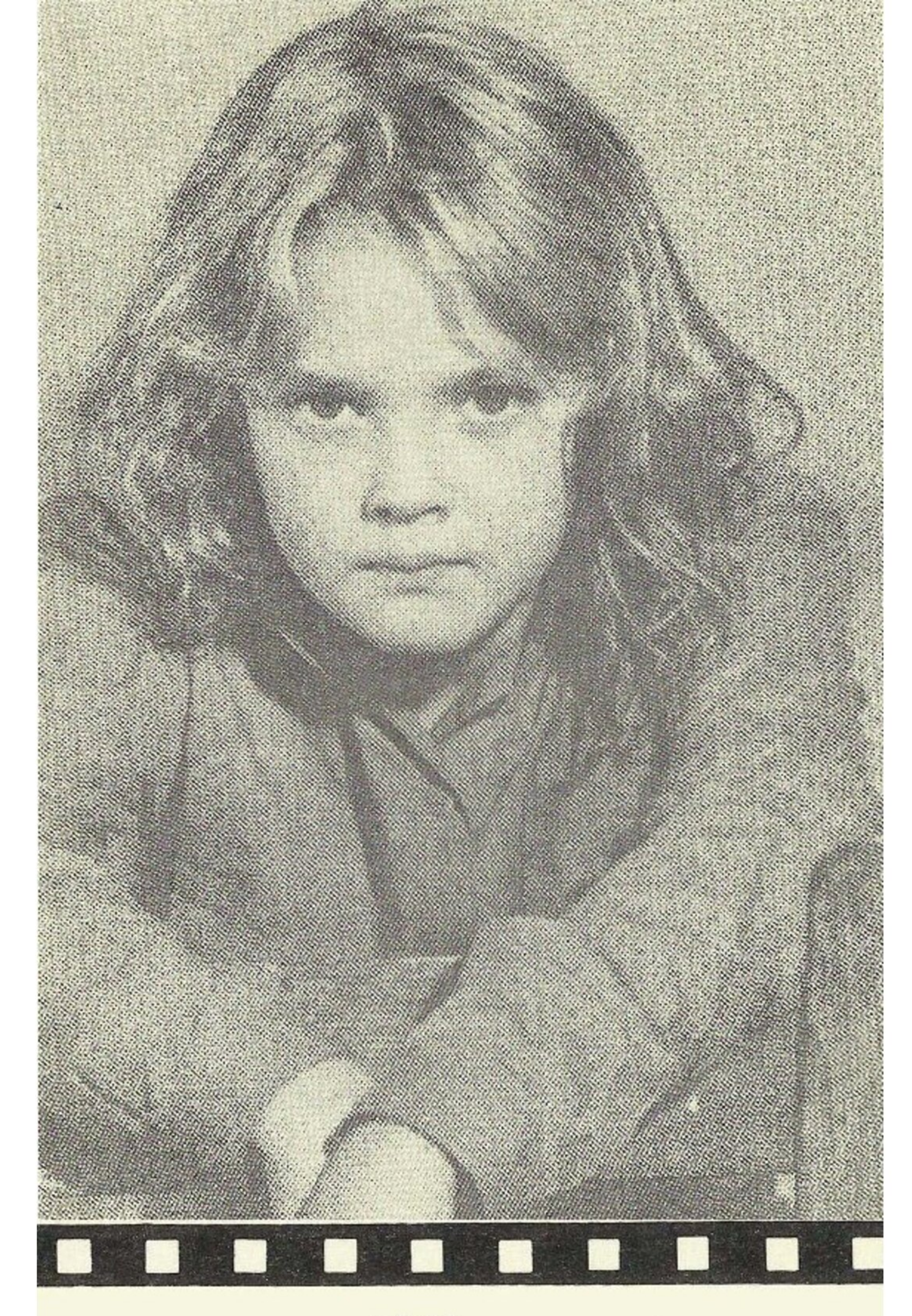
● الدراسات اللغوية في الأندلس، منذ مطلع القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن السابع الهجري: عصر المرابطين والموحدين.
عن دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٠

● الفلّاح في السينما العربية - عن مركز البحوث والدراسات في المؤسسة العامة للسينما والمسرح في بغداد بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت - بيروت ١٩٨٠

● المدينة في السينما العربية - عن جهة النشر نفسها - بيروت ١٩٨١

● أفلام الرسوم المتحركة والدمى - تأليف: روجر مانفيل (ترجمة) في سلسلة الموسوعة الصغيرة، رقم ١٠٧ - عن دار الجاحظ للنشر - بغداد ١٩٨٢

● الرواية العربية في السينما - عن دائرة الشؤون الثقافية والنشر - بغداد ١٩٨٣



دراو باريمور في (مُشعلة الحرائق ـ 1984) اخراج : مارك ليستر



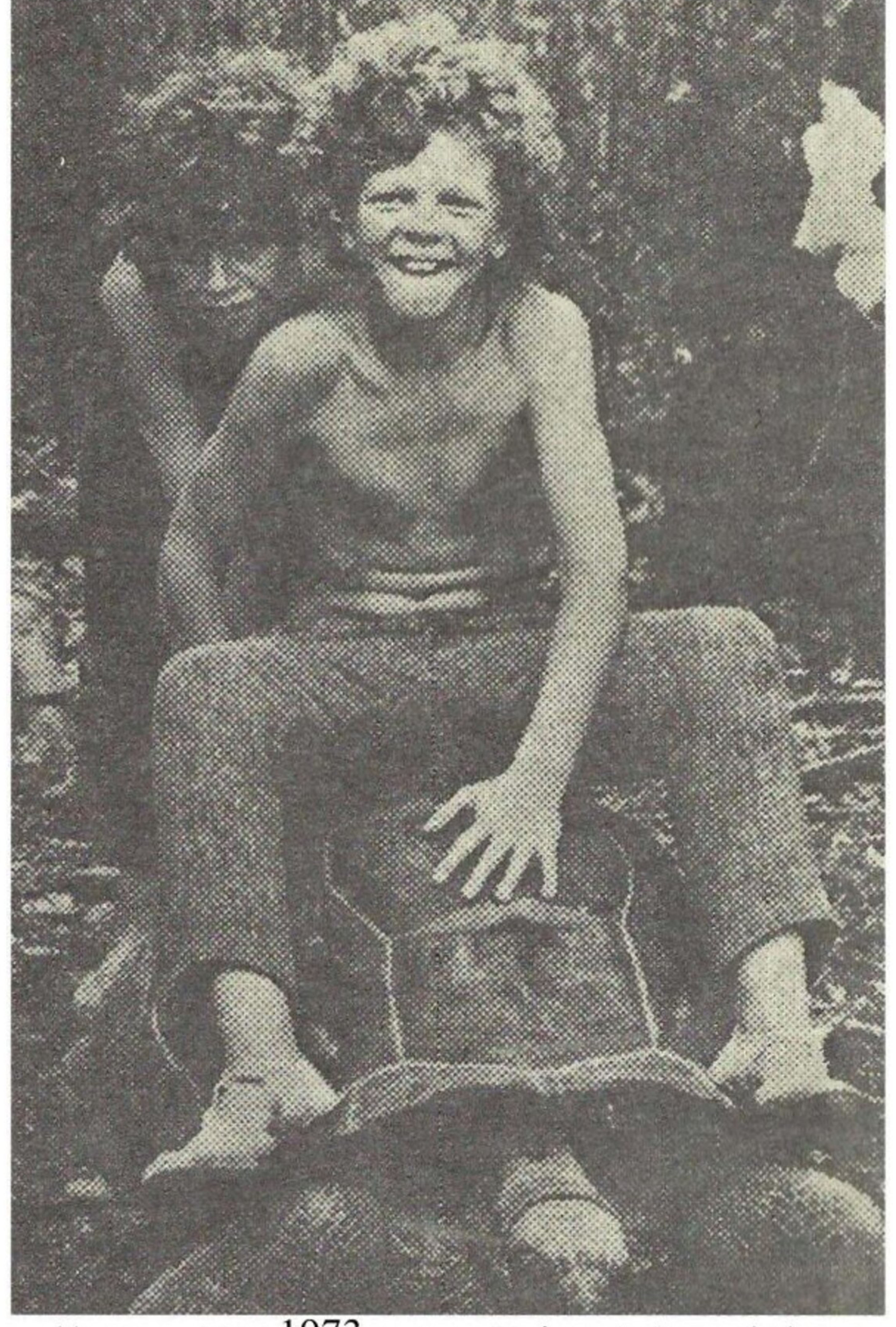
جيني أوغتير و سالي ثومسيت في (صغار السكة الحديد ـ ١٩٧٧) اخراج: ليونيل جيفريس



أندري بودوشيان ، وسفيتلانا أورلوفا في (أميرة على حمصة ـ ١٩٧٧) اخراج: بوريس ريتساريف



فيكا نوفيكوفا في (حورية الماء الصغيرة ـ 1976) اخراج فلاديمير بيتشكوف



جون وليتيكر و جيف ايست في (توم سوير – 1973) اخراج : دون تايلر



(طفولة غوركي ـ ١٩٣٨) اخراج : مارك دونسكوي

ريشارد كيلي ، والصغير : ستيفن وارنر في (الأمير الصغير ـ ١٩٧٥) اخراج : ستانلي دونين

(بنت تبحث عن الولد – 1959) اخراج : ليف غولوب



جاكي كوجان وشارلي شابلن في فيلم (الصبي ـ 1921)



دراسات

السعر ٤٠٠ فلساً

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد (٤٩٨) لسنة ١٩٨٦

مطابع ثنيان بغداد (٤١٦٣١٥٣)